"الحنين في الشعر الشنقيطي"

ابن أحمد دام نموذجًا

الشَّيْخ أحمد الْمُنَى

أستاذ مساعد ـ قسم اللغة العربية للناطقين بغيرها ـ كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

جامعة القصيم

ملخص البحث.

لم تحظ ظاهرة الحنين في الشعر الشنقيطي بما تستحقه من دراسة رغم أن الشعر الشنقيطي عموما بنشأته ومدارسه وأغراضه بدأ يحتل حيّزا من عمل الباحثين الموريتانيين خاصة في مذكرات وأطروحات التخرج من الجامعات الموريتانية والعربية. لذلك رأينا من المناسب التعرض للحنين في الشعر الشنقيطي من خلال أحد شعرائه البارزين وهو سيدي عبد الله ولد أحمد دام.

وقد قدمنا للبحث بمدخل نشرح فيه دلاليا مكونات العنوان والدوافع التي حدتنا إلى اختياره قبل أن نقدم كلمة عن المراجع وما تمثله من عقبة بالنسبة للباحث في الشعر الشنقيطي سيما في بعض ظواهره التي لم تحظ بكبير درس مثل غرض الحنين خاصة. وكان لزاما علينا أن نقدم بين يدي البحث لمحة عن الحنين لغة واصطلاحا كما عرفته أمهات كتب اللغة والأدب، أشفعناها بكلمة عن الحنين في الشعر العربي في عصوره الأولى.

وأما تناوُلنا للحنين في شعر ولد أحمد دام فقد استُهل بنبذة عن حياة الرجل وسمات المحيط الذي نشأ فيه أتبعناها بإضاءة عن شعره قبل أن نتناول شعر الحنين لديه بشيء من الدراسة والتحليل. لقد توقفنا عند عناصر الحنين لديه كما عكستها النصوص المذكورة، فدرسنا الشخوص البشرية والمكانية ودورها في تجلية التجربة وإغنائها، قبل أن نتوقف عند مميزات الحنين لديه مركزين على المعجم الشعري ودلالاته ملمحين إلى مدى توفيق الشاعر في اختيار

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

الكلمات والتعبيرات التي تناسب نقل تجربته بصدق وحرارة، كما تعرضنا للموسيقى الشعرية ودورها في تكثيف التجربة وإثرائها، ثم ختمنا بأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

مدخل

يتكون عنوان هذا البحث من وحدتين دلاليتين، تُحيلُ أولاهما وهي "الحنين في الشعر الشنقيطي" إلى ظاهرة شعرية قديمة ـ حديثة هي "الحنين" في فرع من مدونة الشعر العربي محدودة مكانيا ببلاد شنقيط[1]. وأما الثانية "ابن أحمد دَامْ نموذجا" فمرتبطة بسابقتها لمقاربتها للظاهرة المذكورة، من خلال أحد الشعراء الشناقطة الذين عاشوا في الحدود المكانية المشار إليها. ولئن كان البعدان المعرفي "الشعر" والمكاني "شنقيط" واضحين في منطوق العنوان، فليس الأمر كذلك بالنسبة للبعد الزماني. لكن الشاعر ـ النموذج نفسه قد يخفف من غياب البعد الزماني من وحدات العنوان الدلالية؛ لأنه عاش في القرن الثالث عشر الهجري وبذلك تكون معالم البعد الزماني قد اتضحت إلى حد ما.

ولكن هذا العنوان يبقى بحاجة ـ مع ذلك ـ إلى مزيد إيضاح وجلاء خاصة في بعده المكاني: بلاد "شنقيط" التي أضيف إليها الشعر في العنوان، وهي المعروفة حاليا بالجمهورية الإسلامية الموريتانية. وقد عرفت هذه البلاد تسميات متعددة[2] بحيث غدت "تسمية بلاد شنقيط" تسمية ضمن تسميات[3]. ولئن تم تجاوز هذه التسمية " بلاد شنقيط" والتخلي عنها رسميا منذ الاحتلال

---

(1) شنقيط مدينة في الشمال الموريتاني يعود تأسيسها إلى سنة 160 للهجرة/ 776 للميلاد. وقد خربت بعد ذلك وأعيد تأسيسها سنة 660 للهجرة/ 1262 للميلاد وهو التأسيس الذي ما تزال بعض معالمه قائمة إلى اليوم. انظر: الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987ص.72.

(2) منها "صحراء الملثمين" أو "بلاد الملثمين" ثم "بلاد التكرور" وتأتي "بلاد شنقيط" في المرحلة الثالثة تاريخيا. كما سميت بأسماء أخرى مثل: "المنكب البرزخي" و "بلاد الفترة"، لكن الاستعمار الفرنسي ابتعث لها من التاريخ الروماني غداة احتلاله لها اسما مازالت معروفة به إلى اليوم ألا وهو "موريتانيا".

(3) د. عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد، الشعر الشنقيطي في القرنين 12 و13هـ ـ دراسة في المرجع والبنية والقراءة، مطبعة المنار، نواكشوط، موريتانيا، 2012، ص.5.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

الفرنسي للبلاد مطلع القرن الميلادي المنصرم[4]، فقد ظل حضورها بارزا خاصة في الجانب المعرفي والثقافي لأسباب عدة منها أن البلاد عرفت بها لفترة طويلة خاصة في المغرب والمشرق العربيين، ومنها أن انطلاق ركب الحجيج كان في الغالب من مدينة شنقيط.

يضاف إلى ذلك أن العلماء الشناقطة[5] الذين اتجهوا إلى المشرق حجاجا ثم استقر بعضهم هناك، اشتهروا بسعة العلم والحفظ وقوة العارضة، الأمر الذي أعطى بلاد شنقيط شحنة دلالية تحيل إلى هذه المعاني كلها وساعد من ثم على صمود هذه التسمية إلى الآن.

دوافع الاختيار

خامرتني فكرة إعداد بحث عن الحنين في الشعر الشنقيطي باعتباره ظاهرة تستحق الدراسة، وذلك منذ بعض الوقت. وبعد مطالعات شبه استقصائية لهذه الظاهرة في مدونة الشعر الشنقيطي تبين لي أن الأمر يتطلب أكثر من بحث بل ربما تطلب كتابا كاملا على الأقل. وقد عقدت العزم على التصدي لتلك المهمة وإخراج كتاب يلم شتات غرض الحنين في الشعر الشنقيطي ويكشف عن تجارب إنسانية من حق متذوقي الأدب والمشتغلين به الاطلاع عليها.

ولكن الظروف لم تسمح لي بعد بمباشرة ذلك العمل، وإن كنت اطلعت على جل نصوص الحنين وجمعت بعضها. وربما تسنح الفرصة بذلك رأيت أن أبدأ بتناول الحنين في شعر سيدي عبد الله بن احمد دَامْ لاعتبارات منها: أنني عايشت نصوص شعره ـ ومنها نصوص الحنين ـ منذ سن مبكرة، فبقيت محفورة في الذاكرة راسخة في الوجدان. أمر آخر دعاني إلى تناول الموضوع ألا وهو قلة البحوث والدراسات التي تعرضت له، رغم أنني أزعم أنه لا يقل شأنا عمن حظوا ببعض المؤلفات والبحوث، لذلك رأيت أن أضع لبنة متواضعة في بناء نتمنى أن يوفيه بعض حقه علينا.

---

(4) أطلقت فرنسا تسمية موريتانيا بقرار وزاري بتاريخ 27/ 12/ 1899م، والاسم مبتعث من التاريخ الروماني وكان يدل على إقليم بإفريقيا يقع غربي نوميديا ويشمل غرب الجزائر وشمال المغرب. انظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مادة: "موريتانيا"، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1995.

(5) من هؤلاء: محمد محمود ولد التلاميذ التركزي وأحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي ومحمد الأمين بن فال الخير الحسني الشنقيطي ومحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي صاحب أضواء البيان...إلخ

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

كلمة عن المراجع

ما زال الشعر الشنقيطي أو الموريتاني بحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات التي من شأنها الكشف عن مختلف جوانبه الإبداعية. ولئن ظهرت كتب ودراسات متعددة تناولته نشأة وأغراضا وتصنيفا، فإن جل كنوزه ما يزال رهين المكتبات الخاصة والخزانات الشخصية على شكل مخطوطات أو مرقونات في أحسن الأحوال. لذلك فإن من يتصدى للبحث فيه وخاصة في بعض جوانبه التي لم تحظ بعناية كبيرة شأن غرض الحنين الذي نتناوله في هذا البحث، لا بد أن تواجهه عقبات عديدة ليس من أهونها قلة المراجع في هذا الباب.

ومع ذلك فإن هناك مؤلفات تطرقت للشعر الشنقيطي تأريخا ونقدا تقدم للباحث مادة أولية يمكن الاستفادة منها في تكوين تصور عام عن هذا الشعر دون أن تمده بما يفيده في دراسة غرض الحنين ذاته. وعليه فإننا أقدمنا على هذا البحث وليس بين أيدينا من عمل يساعدنا في التصدي له، وهو أمر يؤثر سلبا على البحث كله. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، لذلك قررنا التصدي لهذا العمل مستعينين الله وحده في إبراز جانب من جوانب الإبداع في الشعر الشنقيطي لم تمتد إليه يد البحث والتنقيب بعد. ولابد من الاعتراف بأن هناك مؤلفات في الشعر الشنقيطي استفدنا منها في المعلومات السياقية كنشأة الشعر الشنقيطي وأغراضه وحياة ابن احمد دام وبيئته وعصره، بل وأمدتنا بأهم النصوص موضوع البحث وهي مذكورة في نهاية البحث.

الحنين لغة واصطلاحا

لا جرم أن الحنين إلى الوطن والأهل وإلى مرابع الصبا، طبْع راسخ لدى بني الإنسان بل ولدى الحيوان كذلك، ولكنه بسكان البادية أرسخُ وألصقُ. لذلك كان للعرب ـ وهم أهل بادية في الأصل ـ حظ وافر من الحنين إلى الوطن، وهو ما عكسته أشعارهم بجلاء وفي مختلف العصور. ولكننا قبل الاسترسال في الحديث عن الحنين في الشعر العربي عامة والشنقيطي خاصة، مولّون

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

وجوهنا شطر كتب اللغة ومعاجمها بحثا عن دلالة الحنين في اللغة، دون أن نطيل الاستطراد لعلمنا بأن الكلمة معروفة مطروقة في معاجم اللغة وكتب والأدب.

فقد جاء في لسان العرب: "الحنين: الشّديد من البكاء والطّرب، وقيل: هو صوت الطّرب، سواء كان ذلك عن حزن أو فرح. والحَنِينُ: الشَّوْقُ وتَوَقانُ النَّفس، والمَعْنَيان مُتَقَارِبان"[6].

وقال الفارابي في معجم ديوان الأدب[7]: " حنّ إليه حنينا أي اشتاق، وكذلك حنّت الناقة أي صوّتت، وحنّ عليه حنانا أي ترحّم". وقد عُرِفت الناقة به أكثر من سواها، وبها ضُرِبَ المثلُ، قال رؤبة:

حَنَّتْ قَلُوصِي أَمْسِ بِالأَرْدُنِّ حَنِّي فَمَا ظُلِّمْتِ أَنْ تَحَنِّي

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ[8]. وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَم: يُقَال للسهم الَّذِي يصوِّتُ إِذا نَفَزْتَه بَين إصبعيك: حَنَّانٌ. وَأنْشد قَول الْكُمَيْت:

فَاسْتَلَّ أَهْزَعَ حَنَّانًا يُعَلِّلُهُ عِنْدَ الْإِدَامَةِ حَتَّى يَرْنُوَ الطَّرِبُ

وتحنّنت الناقة على ولدها: تعطّفت. وأصل الحنين ترجيعُ الناقة صوتَها إثر ولدها. قال في القاموس المحيط: "حنّنَ، الحنين: الشوق وشدّة البكاء. وحنّ، يحنّ، حنينا: استطرب فهو حانٌّ كاستحنَّ وتحانَّ"[9]. أما عند الانسان فالحنين هو اشتياق ولوعةٌ وألمٌ داخلي من غير صوت[10]. وَأما

(6) ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، طبعة جديدة عني بها كل من: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1999م، مادة حنّن.

(7) تحقيق د. أحمد مختار عمر ومراجعة د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1424هـ ـ 2003م، الجزء الثالث، ص. 144.

(8) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422، ص.195.

(9)مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة 1، بيروت 1406، ص.630.

(10) رسائل أبي العلاء المعري، 107/1، تحقيق د. إحسان عباس، دار الشروق، ط1، بيروت 1982.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an نموذجا : ابن أحمد دام المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

قَوْلهم: حنانك وحنانيْك فَإِن اللَّيْث قَالَ: حنانيك يَا فلَان افْعَل كَذَا أَو لَا تفعل كَـذَا تُـذَكِّرُهُ الرَّحْمَـةَ والبِرَّ. وَقَالَ طرفَة بن العبد[11]

أَبَـا مُنْـذِرٍ أَفْنَيْـتَ فَاسْـتَبْقِ بَعْضَـنَا حَنَانَيْـكَ بَعْـضُ الشَّرِّ أَهْـوَنُ مِـنْ بَعْـضِ

وعلى ذلك فالمستحِنُّ، هو الذي يحنّ إلى وطنه وينازِعـه الشـوقُ إلى أهلـه ووطنـه. وهـذا الإيغال الروحي بالجيشان العاطفي يخامر المرء ويستولي عليه أحياناً في حالـة انتقالـه مـن مكـان لآخر، لا سيما إذا نأت المسافة بين الانسان وأهله. والحنين الى الوطن هـو الطـاغي عـلى لـب المـرء سواء أكان في سفر أم في عمل، فما بالك إذا كان الابتعاد مفروضاً على الإنسان اضـطرارا لا اختيـارا؟ وكثيرا ما تُلازمُ الغربةُ الحنينَ حيث تكون من بواعثه إن لم تكن باعثَه الوحيدَ. فالبعـد عـن الـوطن والأحبة والأُلاّفِ سببٌ كافٍ للحنين. والغربة النَّأْيُ والبعد عن الأهـل والـوطن، وقـد تكـون الغربـة ذاتيةً داخليةً دونما سبب من بعدٍ أونأْيٍ وإنما بفعل الخروج عن معهود الناس ومألوفهم.[12]

وبالجملة فالحنين والغربة متلازمان فلا حنينَ إلاّ وللغربة فيه جذور، ولا غربةَ إلا والحنـين مظهرٌ من مظاهر الضِّيق بها. فكيف عكس الشعر العربي هـذه الظـاهرة وكيـف صـورها الشـعراء العرب قديما وحديثا؟

الحنين في الشعر العربي

تزخر مدوَّنة الشعر العـربي عـلى اخـتلاف عصـوره بكـمٍّ هائـل مـن القصـائد والمقطَّعـات والنُّتَفِ التي صوَّر أصحابُها غربتَهم وحنينَهم إلى الأهل والديار، وتبرُّمَهم وضيقَهم بالنأي والاغتراب. فالحنين إلى الأوطان والأهل والأحباب علامةٌ على رقة القلب والرشد لما فيه من الـدلائل عـلى كـرم الأصل، وتمام العقل.

(11) ديوان طرفة، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، 1423هـ ـ 2002م،س ص. 53.

(12) مها روحي وإبراهيم الخليلي، الحنين والغربـة في الشـعر الأنـدلسي، عصر سـيادة غرناطـة 635 ـ 697هجريـة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، 2007، ص.23.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

ولقد عَرَفَ العربيُّ حبَّ الوطن والحنينَ إليه منذ أقدم الأزمان، فحَمل لنا الشعرُ العربي صوراً رائعةً من أشواق الشعراء وحنينهم إلى أوطانهم ومرابعهم ومراتع صباهم. فيندر أن تجد قصيدة عربيةً إلاّ وبها حنينٌ إلى الوطن أو ذكرٌ للمنازل والديار والحبيب، ولا غرو في ذلك فالأرض قطعةٌ من الإنسان لا يَنِي يحنُّ إليها وإلى أهلها.

وليس من مبتغانا في هذا البحث استقصاءُ مظاهر الحنين في الشعر العربي لاستحالة ذلك أولاً، ولضيق المجال عن ذلك ثانياً، وإنما نودُّ أن نقدم نبذة مختصرة وإلماحةً موجزة نمهد بها لما نحن بصدده. لقد رافق الحنين إلى الأهل والوطن والخلان الشعر العربي في عصوره المختلفة، فهذا امرؤ القيس ـ وهو أول من بكى واستبكى ـ يقول[13]:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وفي العصر الإسلامي، دوَّن الشعراء العذريون ما عانوْه من غربة الإبعاد والحرمان من المحبوبة، والنفي والبعد عن الوطن، وهو نَفَسٌ حَمَلَهُ حنينُهم شعراً رائعا رائقا تتغنى به الأجيال. يقول جميل بن معمر:

هَاجَتْ فُؤَادَكَ لِلْحَبِيبَةِ دَارُ أَقْوَتْ وَغَيَّرَ آيَهَا الْأَمْطَارُ

وَعَفَا الرَّبِيعُ رُسُومَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ يَغْنَ قَبْلُ بِرَبْعِهَا دَيَّارُ

لَمَّا وَقَفْتُ بِهَا الْقَلُوصَ تَبَادَرَتْ مِنِّي الدُّمُوعُ وَهَاجَنِي اسْتِعْبَارُ

وفي العصر العباسي يكفي أن نذكر يتيمة ابن زريق البغدادي التي غدت من أشهر قصائد الشوق والحنين ومنها:

لاَ تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُولِعُهُ قَدْ قُلْتِ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ

بلغتِ في لومه حدًّا أضرَّ به من حيث قدَّرْتِ أنَّ اللوم ينفعه

(13) ديوان امرئ القيس، بعناية عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، طبعة 2، بيروت 2004، ص.14.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an : ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

ويخلص إلى تصوير بديع لشوقه وحنينه إلى أهله ووطنه بعد أن ضرب في الأرض متبرما بالارتحال الدائم الدائب الذي لا يرى له من هدف إلا ذرع الأرض جيئة وذهابا دونما طائل:

يَكْفِيهِ مِنْ لَوْعَةِ التَّشْتِيتِ أَنَّ لَهُ ... مِنَ النَّوَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يُرَوِّعُهُ

مَا آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلاَّ وَأَزْعَجَهُ ... رَأْيٌ إِلَى سَفَرٍ بِالْعَزْمِ يُزْمِعُهُ

كَأَنَّمَا هُوَ فِي حَلٍّ وَمُرْتَحَلٍ ... مُوَكَّلٌ بِفَضَاءِ اللهِ يَذْرَعُهُ

ويبلغ الحنين والشوق ذروته باستدعاء المكان الذي كان مسرح أنس الشاعر وطربه واجتماع شمله بمن يحب، وباستدعاء الزمان لمحاورته ومساءلته عن الزمن الجميل متى يعود وهل يعود أصلا؟

بِاللهِ يَا مَنْزِلَ الْعَيْشِ الَّذِي دَرَسَتْ ... آثَارُهُ وَعَفَتْ مُذْ بِنْتُ أَرْبُعُهُ

هَلِ الزَّمَانُ مُعِيدٌ فِيكَ لَذَّتَنَا ... أَمِ اللَّيَالِي الَّتِي أَمْضَتْهُ تُرْجِعُهُ[14]

تلك نماذج قليلة جدا من مظاهر الشوق والحنين في الشعر العربي في عصوره المختلفة، تعكس ما كان لهذا اللون الشعري من حضور في مدونة الشعر العربي القديم. كما أنها تمهد لما نحن بصدده من الحديث عن الحنين في شعر سيدي عبد الله ولد احمد دام.

وقبل الانخراط في موضوع البحث، نرى مناسبا التطرق ـ وبإيجاز شديد ـ إلى الحنين في الشعر الشنقيطي بصفته غصنا من دوحة الشعر العربي نما في ذلك الركن القصي من بلاد العرب المعروف اليوم بموريتانيا[15]، بادئين بلمحة عن الشعر الشنقيطي نفسه: نشأته وآراء النقاد فيه وما استقرت عليه اجتهاداتهم في هذا السياق.

---

(14) المحاسن والأضداد، عمر بن بحر بن محبوب الكناني، دار مكتبة الهلال، بيروت1423، ص.333.

(15) الاسم الحالي لما عرف ببلاد شنقيط، وتحدها شمالا المغرب وشرقا مالي والجزائر وجنوبا نهر السنغال وغربا المحيط الأطلسي.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

ومما يسوغ إعطاء مساحة معقولة لهذا المشغل، كون الشعر الشنقيطي يكاد يكون مجهولا في معظم البلاد العربية، بل إنه يكاد يكون مجهولا لدى المشتغلين بالأدب في تلك البلاد. لذلك رأينا من المناسب التوقف عند نشأة هذا الشعر واستعراض بعض الآراء النقدية حولها.

المبحث الأول : الحنين في الشعر الشنقيطي

في هذا المبحث نولي وجوهنا شطر الشعر الشنقيطي ملمحين إلى نشأته وما اكتنفها من غموض، وما استقر عليه رأي الباحثين حولها، قبل أن نتعرض للشعر الشنقيطي نفسه من خلال إنتاج الشعراء الشناقطة عامة وفي القرن الثالث عشر خاصة لنقف على مظاهر الحنين في شعرهم.

المطلب الأول: الشعر الشنقيطي: النشأة

يتفق أكثر الدارسين على أنه يسود نشأة الشعر العربي الفصيح في موريتانيا نوع من الغموض، بحيث يصعب تحديد تاريخها بدقة. وكل ما يمكن قوله إن إرهاصاته الأولى كانت في القرن السابع الهجري على شكل أنظام ومقطعات ينشئها العلماء والفقهاء في نطاق الدرس المحظري أو في الزوايا الصوفية[16]. غير أنه من شبه المؤكد أن استواء هذا الشعر على سوقه وبلوغه الأشد كان على يد شعراء كبار أمثال ولد رازگة العلوي (ت 1143هـ/ 2 ـ 1731)[17] الذي يقول:

فَإِنْ لَمْ تَرَ النَّعْلَ الشَّرِيفَةَ فَانْخَفِضْ ... لِتَمْثَالِهَا وَاعْكِفْ عَلَى لَثْمِهَا عَكْفَا

بَدَتْ رَوْضَةً مِسْكِيَةَ النَّشْرِ أَوْشَكَتْ ... لِطِيبِ شَذَاهَا الْعَيْنُ أَنْ تَحْسُدَ الْأَنْفَا[18]

(16) الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة في وصف الأساليب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس الغرب 1990، ص.24.

(17) سيدي عبد الله بن محم بن القاضي العلوي، عالم وشاعر، ولد بشنقيط ورحل إلى منطقة القبلة المعروفة اليوم بالترارزة. راجع: د. محمد المختار ولد اباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الإيمان، الرباط.

(18) الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص.184.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

ومحمد اليدالي الديماني[19] والذيب الكبير الحسني[20] وآلما ولد المصطفى[21] وبوفمين المجلسي[22].

وهذا هو رأي د. محمد المختار ولد أباه وتابعه فيه المرحوم د.أحمد جمال ولد الحسن ود.عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد. فولد الحسن عند حديثه عن نشأة الشعر الشنقيطي ـ وبعد استعراضه لبوادر هذا الشعر ممثلة في الأنظام والمقطوعات التوسلية والمديحية التي ينشئها الفقهاء باعتبارها جزءا من نشاطهم الديني والتعليمي ـ انتهى إلى القول: "إن معلوماتنا الراهنة لم تسمح بعد بنفي الحكم الذي جزم به محمد المختار ولد اباه عن "نشأة الشعر الموريتاني"[23].

ومن الطريف فعلا أن العلماء والفقهاء وقفوا من الشعر في البداية موقفا يراوح بين الرفض والقبول ثم لم يلبثوا أن تعاطوه إنشادا وإنشاء، ولذلك فإن لنشأة الشعر الفصيح في بلاد شنقيط علاقة صلبة بالتعليم الديني الذي كانت المحاظر[24] كنفه وكان العلماء سدنته. وهكذا فإنه ما إن حل القرن الثالث عشر الهجري حتى انقلبت الآية فتسامح الفقهاء مع الشعر بل واستعذبوه وأنشؤوه وأنشدوه واستنشدوه. لذلك غدا من المعقول اعتبار هذا القرن عصر ازدهار الشعر الفصيح في بلاد شنقيط.[25]

---

(19) محمد بن المختار محم سعيد المعروف بمحمد اليدالي الديماني (1096هـ/ 1688م ـ 1166هـ/ 4 ـ 1753م)، عالم جليل تعلم على أشفغ مينحنا وله مؤلفات منها الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، وله ديوان شعر. راجع كتاب: الشعر والشعراء في موريتانيا، مرجع سابق.

(20) شاعر ذائع الصيت ضائع الأخبار والأشعار، توفي على ما يرجحه ابن احميده في العقد الرابع من القرن الثاني عشر الهجري. انظر: الشعر والشعراء في موريتانيا، مرجع سابق.

(21) معاصر لليدالي وابن عمه، ضاعت أشعاره.

(22) شاعر من شعراء تلك الفترة، كان هجّاء مداحا ساجل ابن رازگه. راجع الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق.

(23) نفس المرجع، ص.84.

(24) مؤسسات التعليم الأهلية في بلاد شنقيط. ويتدرج مستوى التعليم فيها من الكتاتيب إلى الجامعات. راجع: الخليل النحوي: "بلاد شنقيط المنارة والرباط"، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

(25) راجع : الشيخ أحمد المنى، **الشعر السياسي الموريتاني في القرن العشرين: من المقاومة إلى المعارضة، قراءة في الأساليب والمضامين**، أطروحة دكتوراه، مرقونه، جامعة داكار، 2010.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

المطلب الثاني: الحنين في الشعر الشنقيطي: نماذج

لا يحتاج المرء ـ وهو يتصفح مدونة الشعر الشنقيطي بمختلف عصوره ومدارسه ـ إلى كبير جهد للوقوف على نماذج متنوعة من شعر الحنين والغربة، كتبها أصحابها وقد طوحت بهم النوى بحثا عن سبل الرزق أو شوقا إلى الحج. وعن هذين السببين يصدر جل الشعراء فيما يكتبونه من قصائد ومقطعات تفيض بالحنين والشوق. وليس من مرادنا التعرض لكل أو جل ما كتبه الشعراء الشناقطة في غرض الحنين، وإنما نرمي إلى عرض نماذج محدودة تعكس ما كان لهذا اللون الشعري من حضور لدى الشعراء الشناقطة، توطئة للحديث بصورة أكثر تفصيلا عن الموضوع في شعر سيدي عبد الله ولد أحمد دام الذي هو مدار هذا العمل.

ولعلنا لا نجانب الحقيقة إن قلنا إن الحنين والشوق إلى حج بيت الله الحرام وزيارة المسجد النبوي الشريف، على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم موضوعان مسيطران على غرض الحنين في الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر. ويكفي أن نشير إلى أنه كان من عادة الشناقطة أن يحجوا سيرا على الأقدام، وعلى ظهور الدواب لمسافة تناهز السبعة آلاف كيلومتر[26] وذلك رغم بعد الشقة وهول الطريق وقلة ذات اليد في الأغلب الأعم.

لقد كان الحنين إلى البلاد المقدسة يدفعهم إلى المغامرة بحياتهم وترك أهلهم ووطنهم لتأدية الركن الخامس من أركان الإسلام الذي تشترط فيه الاستطاعة أصلا. ومن نماذج شعر الحنين والشوق إلى الحج وبلاد الحجاز قصائد الشاعر محمدو ولد محمدي[27] الشهيرة ومنها قصيدته التي مطلعها:

---

(26) د. حماه الله ولد السالم، موريتانيا في الذاكرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2005م، ص.99.

(27) هو محمدو ولد محمدي، ولد سنة 1242هـ ـ 1826م في بيت علم وأدب. توفي سنة 1277هـ ـ 1860م في الطريق بين مكة وجدة وعمره ثلاثون سنة، وكان خرج حاجا سنة 1271هـ/ 1856م. انظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الطبعة الرابعة، 1409هـ ـ 1989م، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ومؤسسة منير ـ موريتانيا، ص. 57.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

تَجَلَّــدْ جَهْــدَ نَفْسِــكَ لِلْفِــــــرَاقِ وَكَفْكِــفْ غَــرْبَ سَــافِحَةِ الْمَآقِــي

وَجَــرِّدْ مِــنْ عَزِيمِــكَ مَــا يُــوَازِي مُــتِرَّاتِ الْمُهَنَّــدَةِ الرِّقَــــــاقِ[28]

وهو مطلع يشي بما يعتلج في نفس الشاعر من الشوق والحنين إلى الحج معتمدا على نفسه وعزيمته، موطنا نفسه على التجلد والصبر على مفارقة الأهل والديار. وعزاؤه في ذلك ما يصوره خياله من قرب وصوله إلى البلاد المقدسة التي يحن إليها وإلى شخوصها المكانية أيما حنين:

إِلَى أَرْضِ الْحِجَــــازِ أَحَلْــــتُ عَــــنْكُمْ صَــفِيحَةَ وَجْــهِ وَجْــدِي وَاشْــتِيَاقِي

سَــــلَوْتُ أَحِبَّتِــــي وَاشْــــتَاقَ قَلْبِــــي لِتِلْــــكَ الْأَرْضِ لَا نُجْــــلِ الْحِــــدَاقِ

وَلَا بِــــــيضِ التَّرَائِــــبِ وَالثَّنَايَــــا مُــدِيرَاتِ الْجُــمَانِ عَــلَى التَّرَاقِــي[29]

وتستمر القصيدة على هذا النحو زفرات وبوح نفس لا يكترث بالبعد والصعاب ووحشة الطريق، متوكئة على عصا الشوق والحنين الجارف إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة مهوى فؤاد كل مسلم.

ومن نماذج الحنين الدالة أبيات الشاعر "بوفمّين"[30] ـ أبو فمين ـ التي يصف فيها ما تعانيه قبرة من الحنين لوطنها وما آلت إليه حالها التي هي حال الشاعر نفسه، يقول:

أَصِــخْ لِقُــبَّرَةٍ نَــأَتْ عَــنِ الْوَطَــــــنِ كَــمَا نَأَيْــتَ وَيَــبْكِي سَــاكِنُ الْوَكَــنِ

مُغْــبَرَّةِ الطَّــوْقِ وَالْمِنْقَــارِ جُؤْجُــؤُهَا تَشُــوبُهُ حُمْــرَةٌ مُصْــفَرَّةُ الْبَــــــدَنِ

لَــمَّا شَــدَتْ خِلْــتُ أَنِّي كُنْــتُ أَعْهَــدُهَا بِــذِي "ذَوِي مِنَّــةٍ" تَشْــدُو عَــلَى فَــنَنِ[31]

---

(28) نفسه، ص. 49.

(29) نفس المرجع، ص.50.

(30) بوفمين المجلسي: هو المصطفى بن أبي محمد، شاعر هجاء من شعراء الجيل الاول في شنقيط عاش في صدر القرن الثاني عشر الهجري. راجع: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مرجع سبق ذكره.

(31) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص.348.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

المنهل
ALMANHAL

وفي هذا السياق نرى من المناسب التعرض لأبيات الشاعر احمدو ولد عبد الله ولد حبيب الله الحسني[32] التي أرسلها إلى والديه من غربته في إفريقيا، وهي قطعة من نفسه تفيض شوقا وحنينا وتعلقا بوالديه وتقريعا لنفسه على تقصيره نحوهما، متوكئا على مناجاة للبرق اللائح عله يصله بوطنه وأهله بعد أن تعذر عليه وصلهما كفاحا، وبها نختم:

أَيَـا مَـنْ لِنَـاءٍ لَا يَـزَالُ حَنِينُـهُ ... إِلَى وَالِدَيْـهِ دَائِمًـا وَأَنِينُـهُ

نَـأَى عَـنْهُمَا عَامًـا وَعَامًـا وَذُو نَـوًى ... كَـذَاكَ جَـدِيرٌ أَنْ يَـدُومَ حَنِينُـهُ

وَضَـاعَفَ مِنْـهُ الْهَـمَّ أَنْ رَاءَ بَارِقًـا ... بِـأَقْصَى بِـلَادِ الْغَـرْبِ لَاحَ جَبِينُـهُ

أَيَـا بَـرْقُ حَـيِّ الْأَهْـلَ عَنِّـي وَرَوِّهِـمْ ... وَخَـبِّرْهُمُ عَنِّـي بِمَـا تَسْتَبِينُـهُ

وَإِمَّـا عَـدَاكَ الْأَمْـرُ يَـا بَـرْقُ إِنَّنِـي ... رَهِـينٌ أَسًى مَـا إِنْ يُفَـكُّ رَهِينُـهُ

فَبَلِّـغْ أَبِي مِنِّـي السَّـلَامَ وَقُـلْ لَـهُ ... يُحَيِّيـكَ مَـنْ قَـدْ كُنْـتَ قِـدْمًا تَصُـونُهُ

فَلَـمَّا دَنَـا مَـا كُنْـتَ مِنْـهُ مُؤَمَّـلاً ... نَـآكَ كَـمَا يَنْـأَى الْغَـرِيمَ خَؤُونُـهُ

وَعَـرِّجْ بِـأُمِّي وَاتْـرُكِ الْقَـوْلَ عِنْـدَهَا ... أَلَا إِنَّ بَعْـضَ الْقَـوْلِ جَلَّـتْ شُـؤُونُهُ

المبحث الثاني : الحنين في شعر سيدي عبد الله ولد أحمد دام

نتناول في هذا المبحث تجليات الحنين لدى الشاعر سيدي عبد الله بن أحمد دام ممهدين لذلك بنبذة موجزة أشد ما يكون الإيجاز عن حياته والوسط الاجتماعي والثقافي الذي عاش فيه وذلك في المطلب الأول. وأما في المطلب الثاني فسنحاول الاقتراب من شخصيته من خلال نماذج من شعره نراها دالة على شاعريته التي يشهد لها اعتباره من أهم شعراء القرن الثالث عشر الهجري في بلاد شنقيط[33].

---

(32) شاعر مقل من أسرة علم، ولد حوالي سنة 1918م وتوفي سنة 1961م. نقلا عن أخيه عبد الله ولد حبيب الله في مقابلة معه بتاريخ 2014/04/25 في نواكشوط.

(33) كان ذلك ضمن كتاب: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر للدكتور أحمد جمال ولد الحسن، مرجع سابق.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

المطلب الأول: نبذة عن حياة ولد أحمد دام وعصره

لا نرمي هنا إلى تقديم ترجمة وافية لحياة شاعرنا بقدر ما نبغي تسليط الضوء على الخطوط العامة للحيز الزماني والمكاني الذي ولد وترعرع فيه والظروف التي أثرت في حياته فدفعته إلى التطواف في بلاد إفريقيا السوداء والتي أنتجت أهم شعر الحنين لديه.

ولد سيدي عبد الله بن أحمد دام الحسني حوالي[34] 1170هـ /1756م في منطقة "العقل"[35] في الجنوب الغربي من موريتانيا الحالية. ونشأ في بيت يتعاطى أهله ومحيطهم العلوم السائدة في عصرهم وأهمها: القرآن واللغة والأدب والنحو والفقه مع بعض المتمات كالمنطق مثلا. ولكن الدرس اللغوي وعماده دواوين الستة الجاهليين بشرح الأعلم الشنتمري وديوان غيلان ذي الرمة، طغى[36] على ما سواه من الدروس خاصة في القرن الثالث عشر الهجري وفي الجنوب الغربي من موريتانيا الحيزين الزماني والمكاني لشاعرنا.

لذلك ـ وفي غياب معلومات موثقة ـ فإننا نفترض أن ولد أحمد دام قرأ تلك الدواوين بعد دراسته للقرآن ومبادئ اللغة والفقه على عادة محيطه المباشر والقريب. ولعلنا نورد من شعر الرجل في المطلب الثاني من هذا المبحث ما ينهض دليلا على تأثره بهذه الدواوين وغيرها من دواوين الشعر العربي التي كانت متداولة في بلاد شنقيط في ذلك العصر، شأنه في ذلك شأن معاصريه من الشعراء الشناقطة.

وقد قاده طلب العلم إلى الالتحاق بمحظرة العلامة المختار ولد بونه الجكني[37] التي كانت للدراسات اللغوية والأدبية فيها مكانة خاصة، وانتمى إلى الطريقة الصوفية القادرية التي أخذها

---

(34) لم تساعد طبيعة الحياة البدوية وسمتها الترحال الدائم على حفظ تواريخ الميلاد والوفيات بشكل دقيق في بلاد شنقيط في ذلك العصر.

(35) منطقة تميزت بآبارها القصيرة التي يسهل امتياح الماء منها.

(36) ولد الحسن، مرجع سابق، ص.118.

(37) عالم جليل (ت 1220هـ/1805م)، تخرج عليه في اللغة والنحو معظم علماء شنقيط في عصره والعصر الذي يليه. راجع: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة في وصف الأساليب، مرجع مذكور سابقا.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

عن الشيخ سيديا بن الهيبه[38] الذي كانت حضرته من أكبر الحضرات الصوفية[39] وأكثرها تأثيرا آنذاك. وبعد أن تخرج على ولد بونه علميا والشيخ سيديا صوفيا رحل إلى بلاد إفريقيا للاكتساب فأكثر الحنين إلى بلاده والشوق إلى أهله وخلانه: "حتى كان الحنين نغمة له مميزة"[40] على حد وصف ولد الحسن. وكان يعود إلى بلاده أحيانا ثم لا يلبث الحنين إلى زوجه وأولاده أن يغريه بالعودة إلى السنغال[41] حيث تركهم. ومع أن تاريخ وفاته غير مضبوط، فالغالب أنه توفي بعيد سنة 1264هـ/1848م.[42] وله ديوان شعر مرقون[43] ومؤلفات في العقيدة والفقه والحديث[44]. وقد ضم هذا الديوان جل شعره المحفوظ، والذي يدل على أنه كان شاعرا متمكنا من ناصية اللغة، وكانت له شاعرية لا تخطئها العين، نحاول استجلاءها في المطلب التالي من هذا البحث.

المطلب الثاني: ولد أحمد دام شاعرا

يتبوّأ ابن أحمد دام مكانة بارزة بين الشعراء الشناقطة وخاصة بين معاصريه من شعراء القرن الثالث عشر الهجري. لذلك كان حضوره لافتا في الأعمال التي تناولت الشعر الشنقيطي في هذا القرن وفي القرون التي تلته[45]. فهو إذن ليس نكرة في الشعر الشنقيطي، وإن لم يحظ ـ كما ألمحنا إلى ذلك سابقا ـ بدراسات وبحوث خاصة به.

---

(38) هو الشيخ سيديا الكبير ولد المختار ولد الهيبه (ت 1284هـ)، عالم جليل ومتصوف كبير وشاعر مكثر. راجع: ألوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق.

(39) "الحضرة" في السياق الشنقيطي تعني مستقر الشيخ في حيه المتنقل، ويقابلها في البلاد العربية "زاوية".

(40) الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مرجع سابق، ص.130.

(41) دولة إفريقية مسلمة تقع في غرب أفريقيا، استقلت عن فرنسا سنة 1960، عاصمتها داكار.

(42) لكون صديقه الشاعر محمدي ولد سيدينا (ت شوال 1264هـ/أغسطس أو سبتمبر 1848م) خاطبه بأبيات وهو يحتضر. راجع: د. أحمد جمال ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة في وصف الأساليب، مرجع سابق، ص.130.

(43) حققه محمد رضوان الله ولد محمد سالم، المدرسة العليا للتعليم، نواكشوط،1984م.

(44) Mohamed El Mokhjar Ould Bah, La Litterature juridique et l'evolution du Malikisme en Mauritanie,Tunis,1982.

(45) فقد أورد جل شعره المحفوظ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" المشار إليه سابقا. كما كان على رأس الشعراء الذين تناولهم د. أحمد جمال ولد الحسن في كتابه سابق الذكر: "الشعر

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

إن المتتبع لإنتاجه الشعري ليعجب من حضور أغلب الأغراض المعروفة في عصره من مدح ومديح وغزل وفخر ورثاء ومساجلات وحنين إلى الأهل والوطن وغيرها في ديوانه. والملاحظ أنه في كل هذه الأغراض مجيد حتى ليخيل إلى المرء وهو يقرأ مديحياته مثلا أنه على المديح أقدر وأكثر تمرسا منه على ما سواه. وقل الشيء نفسه في المدح والغزل والحنين والمساجلات وبقية الأغراض، وهو أمر لا يتاح لكل الشعراء، إذ يكون بعضهم في أحيان كثيرة أكثر تمكنا في غرض معين منه في الأغراض الأخرى. ويدل ذلك على أنه كان بالفعل "شاعرا"[46] بالمقاييس النقدية التقليدية[47] التي كانت مسلّطة على الشعر والشعراء في عصره الذي كان "عصر كبار الشعراء"[48].

وليس من مرامنا استطراد إنتاجه الشعري كلّه للدلالة على ما ذكرنا، بل سنقتصر على التعرض بإيجاز شديد لبعض قصائده التي نراها ممثلة لشعره، على أن تكون في أغراض مختلفة. ولا نعني بالتعرض لتلك القصائد استطرادها وتحليلها بل نعني سوق مطالعها وأبيات منها متفرقة تقيم أود البرهان على ما زعمناه من شاعرية الرجل.

وقبل ذلك لابد من الإشارة إلى أن ابن أحمد دام ـ على غرار شعراء عصره والعصور اللاحقة ـ متأثر إلى أبعد الحدود بالشعر الجاهلي خاصة على مستوى المعجم، وبشعر صدر الإسلام على مستوى المضامين. لذلك جاءت قصائده مضارعة لشعراء هذين العصرين على وجه التحديد. ولكنه مع ذلك بقي محافظا على شخصيته المميزة، فلم يجترّ إنتاج متقدميه اجترارا، بل مهره بطابع ذاته

الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مساهمة في وصف الأساليب. كما تطرق إلى شعره د. محمد المختار ولد ابّاه في كتابه "الشعر والشعراء في موريتانيا"، طبعة دار الأمان بالرباط، 1424هـ/2003م. وتناوله كل من الدكتور عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد في كتابه "الشعر الشنقيطي في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين: دراسة في المرجع والبنية والقراءة"، مطبعة المنار، نواكشوط، 2008م....إلى غير هؤلاء من الباحثين.

(46) لم يكن من السهل الوصول إلى هذه المرتبة في بلاد شنقيط وخاصة في القرن الثالث عشر الهجري الذي استوى فيه شعر تلك البلاد على سوقه، وغدت فيه المقاييس النقدية صارمة أشد ما تكون الصرامة.

(47) لا يتصف بهذه الصفة في بلاد شنقيط عادة إلا المتمكن في نسج الشعر الجيد في كل الأغراض، المثقف ثقافة لغوية وأدبية وعلمية جيدة. لذلك ضاع كثير من الشعر الشنقيطي الذي لم يكن مستوفيا لهذه الشروط التي كان لها من النقاد سدنة لا يتهاونون في تطبيقها.

(48) الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مرجع سابق، ص.25.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

الشاعرة وألبسه من مفردات محيطه الطبيعي والاجتماعي حلة نسيجها الأرض والإنسان. ولئن تجلى ذلك في شعر الحنين لديه بوجه خاص، فقد تجلت شخصيته كذلك في مختلف أغراض شعره. ولكن الشعر الجاهلي خاصة والإسلامي بدرجة أقل، كان المثل الأعلى للشعراء الشناقطة، وكانت معارضته ومضارعته علامة على التمكن من فن القول الشعري وجواز سفر للالتحاق بمصاف الشعراء الكبار. ولا ضير بعد ذلك في أن يتنكب الشاعر ـ في مرحلة لاحقة ـ طرائق الجاهليين وأساليبهم ومعجمهم ليمتح من البيئة المحلّية طبيعيّها واجتماعيّها بل علميّها ولغويّها. وسنتعرض فيما يلي لثلاث قصائد من شعر ابن أحمد دام تتناول على التوالي غرض المدح والمديح والغزل مرجئين الحديث عن الحنين إلى المبحث اللاحق.

لم يكن ولد أحمد دام مداحا ولكن له قصائد يمدح بها شيخه في الطريقة القادرية[49] الشيخ سيديا، منها هذه القصيدة التي تعد من عيون المدح في الشعر الشنقيطي، مطلعها[50]:

مَـا لِلْمَشِـيبِ وَفِعْـلَ الْفِتْيَـةِ الشَّـبَبَهْ ... وَلِلَّبِيـبِ يُـوَاصِي فِي الصِّـبَا خَبَبَـه[51]

آنَـتْ لِـذِي شَـمَطِ الْفَـوْدَيْنِ رِجْعَتُـهُ[52] ... إِنَّ الْقَتِيرَ[53] لَيَحْمِـي ذَا النُّهَـى[54] طَرَبَـهْ

وهي بداية قوية في لغة جزلة تجاوز فيها الشاعر المقدمة الطللية التي كانت من مقومات الشعر لدى القوم: وتلك أولى علامات بروز شخصيته وذاته. فهو ينكر على الشيب سلوك الشباب ويذكرهم بدنو الأجل وما يستلزمه من العزوف عن اللهو والتفرغ للعبادة قبل أن

(49) نسبة إلى عبد القادر الجيلاني المتوفى ببغداد سنة 561هـ.

(50) الديوان، تحقيق: محمد رضوان الله، المدرسة العليا للتعليم، انواكشوط، 1984، ص. 34.

(51) الخبب ضرب من العدو وهو نقل الفرس أيامنه وأياسره جميعا وأن يراوح بين يديه. القاموس المحيط، الطبعة الثامنة 1426 ـ 2005، مؤسسة الرسالة، ص.77.

(52) الشَّمَطُ: بياض الرأس يخالط سواده. القاموس المحيط، الطبعة الثامنة 1426 ـ 2005، مؤسسة الرسالة، ص. 674.

(53) القتير: المشيب. لسان العرب، دار صادر، طبعة3، ص.73.

(54) العقل.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

يخلص إلى الثناء على ممدوحه مقارنا إياه بحاتم الطائي، مضفيا عليه من آيات الثناء ما يليق بشيخ تربية روحية وزعيم سياسي، وذلك في أسلوب سمته القوة والجزالة والسلاسة:

حَـارَتْ أُنَـاسٌ بِجَـدْوَى حَـاتِمٍ وَلَقَـدْ ... نَـرَى سَـخَاءً كَـمَالَ الـدِّينِ قَـدْ غَلَبَـهْ

أَغْنَى الْعَمَاعِمَ[55] مِـنْ رَاجِيـهِ سَيْبُ نَـدًى ... مَـنْ لَا يَمُـنُّ عَـلَى الْعَـافِينَ مَـا وَهَبَـهْ

يَلْقَـى الْعُفَـاةَ[56] بِوَجْـهٍ مِـنْ سَـمَاحَتِهِ ... كَالْهِنْـدَوَانِيِّ تَجْلُـو مَتْنَـهُ الْجَلَبَـهْ[57]

وإن أَلَمَّ بِـهِ ضَـيْفٌ فَمُرْتَحِـلٌ ... يُثْنِـي وَكَـانَ جَمِيـلَ الظَّـنِّ إِذْ رَغِبَـهْ

وتمضي القصيدة على هذا النحو في إضفاء صفات الكرم والندى والبذل والسخاء على الممدوح في اتباع لسنة أدبية عربية مألوفة، ولكن بلغة راقية لا ضعف فيها ولا ابتذال. وهذه الصفات الحميدة التي خلعها ولد أحمد دام على الشيخ سيديا هي التي تؤدي في ختام القصيدة إلى أن يصبح الممدوح مهوى الأفئدة ومحط الرحال:

فَأَصْـبَحَ الشَّـيْخُ مَـأْوَى كُـلِّ ذِي ظَـمَإٍ ... كَـمَا يُصـبّح مَسـقَى دجلـةَ القِرَبَـهْ

أما المديح فنعرض فيه لقصيدة له شهيرة يذوب فيها طربا لذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم، بدأها بمقدمة طللية على غير عادته فلم يطلها وإنما أتى بقدر ما يقيم أود الغرض، يقول[58]:

تَـأَلَّق لَمَّـاعُ الـوميض لَمُـوحُ ... ب"ذي السَّرح"[59] يخفَـى تـارةً ويَلُـوحُ

سَـقَى دِمَنًـا حَـوْلَ اللِّـوَيِّ وَأَرْبُعًـا ... عَـلَى الْغَـارِ ثَجَّـاجُ الفُـوَاقِ سَـحُوحُ

وَجَـادَتْ عَـلَى أَطْـلَالِ "زَارَ"[60] مُرِبَّـةٌ ... بِهَـا كُـلُّ غـرَّاءِ الْجَبِـينِ دَلُـوحُ

(55) الجماعات من الناس. راجع اللسان، مرجع سابق، ص. 427.

(56) الأضياف وطلاب المعروف، نفسه، ص.74..

(57) اختلاط أصوات الجماعة من الناس، نفسه، ص.269.

(58) الديوان، ص، 41.

(59) تعريب موضع اسمه بالعامية "انواتيل".

(60) اسم موضع بعينه.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

ثم يخلص إلى مدحه صلى الـلـه عليه، مبتدئا بالسلام عليه على مدى أربعة أبيـات معـددا ما استطاع من خصاله ومآثره:

سَـــلاَمٌ بِأَنْفَـــاسِ الْعَبِـــيرِ يَلُـــوحُ ... عَـــلَى النُّـــورِ يَغْـــدُو دَائِمًـــا وَيَـــرُوحُ

سَـلاَمٌ عَـلَى قُطْـبِ الْعُـلاَ الْأَوْحَـدِ الَّـذِي ... يُـــرَوِّحُ مِنْـــهُ السَّـــامِعِينَ مَـــدِيحُ

سَـلاَمٌ عَـلَى شَـمْسِ الضُّـحَى قَمَـرِ الـدُّجَى ... وَنَجْـمِ الْهُـدَى ذِي عَـوْضُ لَـيْسَ يَـزِيحُ

سَـــلاَمٌ عَـــلَى عِـــزِّ الْحِجَـــازِ وَأَهْلِـــهِ ... مَـــنَ انْبَـــأَهُمْ شِـــقٌّ بِـــهِ وَسَـــطِيحُ[61]

ولكنه لا يلبث أن يقر بعجزه عن تعداد فضائله وشمائله وقصوره وسابقيه بـل ولاحقيـه عن وصف عشر معشار ما له من فضل وعظمة:

وَإِنِي وَتَعْـــدَادِي حُـــلاَهُ كَحَاسِـــبٍ ... مِـــنَ الرَّمْـــلِ مَـــا ضَـــمَّتْ مَهَامِـــهُ فِـــيحُ

تَوَاصَـــفَ خَـــيْرَ الْخَلْـــقِ نَـــاسٌ وَقَصَّرُوا ... وَفَى الجَهْـــدُ مِـــنْهُمْ وَالْمَجَـــالُ فَسِـــيحُ

تَوَلَّـــتْ يَـــدُ الْغَايَـــاتِ مِـــنْ دُونِ فَضْـــلِهِ ... فَسِـــيَّانِ مِنَّـــا بَاقِـــلٌ[62] وَفَصِـــيحُ

وأما في غرض الغزل فنسوق قطعة من شعر الرجل تجسد رقة غزله وصدقه وقدرتـه عـلى التقاط الصور المتحركة ريثما ترسم ريشته أبعادها الجمالية وهي لا تتجاوز خمسـة أبيـات ولكنها في زعمنا تكفي لتمثيل غرض الغزل في شعره وتنهض دليلا على ما نسبناه له من شاعرية، يقول[63]:

مَـا سَـفَّهَ الْحِلْـمَ وَاسْتَصْـبَى أَخَـا كِـبَرٍ ... كَالْكَاعِـبِ الـرُّؤْدِ لَـمْ تَعْـدُو اثْنَتَـيْ عَشَرَهْ

كَأَنَّهَـــا فَـــنَنٌ طَـــوْعَ الرِّيَـــاحِ فَـــمَا ... تَنْفَـــكُّ مُسْـــفِرَةً طَـــورًا ومُخْتَمِـــرَهْ

---

(61) كاهنان مشهوران.

(62) باقل الإيادي: جاهلي، يضرب بعيّه المثل. قيل إنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فمر بقوم، فسألوه بكم اشتريته، فمد لسانه ومد يديه (يريد أحد عشر) فشرد الظبي، وكان تحت إبطه. والمثل (أعيى من باقل) مشهور. راجع: مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص.43. بدون تاريخ.

(63) الديوان، ص. 30.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

عَجْـلَى الْقِيَـامِ ضَـحُوكٌ عَـنْ مُـؤَشَّرَةٍ تُـــنْسِي مَلاَحَتُهَـــا ذَا لُؤْلُـــؤٍ دُرَرَهْ

وَفِي الْجَـوَابِ وَفِي كُـلِّ الَّـذِي نَطَقَـتْ طَـيْشٌ تَـرُدُّ بِـهِ الأَكْبَـادَ مُنْفَطِـرَهْ[64]

يَخَـالُ ذُو الْجَهْـلِ أَنَّ الْخَـوْدَ لَـيْسَ لَهَـا لُـبٌّ وَيُعْجِبُـهُ مِـنْ ذَاكَ مَـا اخْتَـبَرَهْ

المبحث الثالث : شعر الحنين لدى ولد أحمد دام

لم نتصد لشعر الحنين لدى سيدي عبد الله بن أحمد دام إلا بعد معاشرة لجل شعره ومكابدة لغرض الحنين في ذلك الشعر بوجه خاص. فتشكل لدينا إحساس بتميز ولد أحمد دام في هذا الباب، وبأنه لم يوفّ حقه من الدراسة لذلك كان هذا البحث.

والواقع أن تجوال الشاعر وتطوافه ببعض مناطق إفريقيا ومكثه هناك السنوات ذوات العدد بعيدا عن أهله ووطنه جعل من حنينه "زفرات شعرية صادقة" على حد تعبير د.عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد.[65] ويكفي أن نعلم أن له في غرض الحنين وحده ست عشرة قصيدة، وهو ما يؤكد أن الحنين كان "نغمة له مميزة" كما يقول د.أحمد جمال ولد الحسن.[66]

وإذا كان الأمر كذلك، أفلا يكون من المشروع إذن البحث عن أسباب الظاهرة وجذورها؟ وعن مظاهرها وتجلياتها؟ ومن ثم ألا يغدو من الضروري التعرض لمعجم الحنين لديه، وعناصر هذا الحنين ومميزاته؟ تلك بعض الجوانب التي سنحاول مقاربة شعر الحنين لدى ولد أحمد دام من خلالها.

ولنبادر إلى القول إن السبب الأساسي لبروز الحنين في شعر ولد أحمد دام على النحو الذي وضحناه آنفا ونزيده توضيحا لاحقا بحول الله وقوته، هو غربته التي دعته إليها مكرها ظروف الحياة فعكسها شعره حنينا لا يهدأ إلى وطنه وأهله وخلانه وتبرما لا ينقطع ببلاد الغربة وأهلها.

---

(64) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص.291.

(65) الشعر الشنقيطي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين: دراسة في المرجع والبنية والقراءة، مرجع سابق، ص.307.

(66) الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة في وصف الأساليب، مرجع سابق، ص.130.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

المطلب الأول: عناصر الحنين في شعره

يكاد الحنين في شعر ولد أحمد دام أن يتجسد بشكل أساسي في عنصرين بارزين هما الإنسان والمكان، وهما عنصران طالما شكلا محورين أساسيين من عناصر الحنين والشوق في الشعر العربي بل وربما في الشعر العالمي. ويقوم الحنين لدى ولد احمد دام على ثنائية الوطن والمهاجَر وسكانهما تغنيا بالأول أرضا وسكانا وتطلعا إلى الاستقرار فيه، وتبرما وضيقا بالثاني أرضا وسكانا كذلك واستشرافا للخلاص منه.

وسنعرض أولا للشخوص البشرية التي شكلت موضوعا للحنين وسببا من أسباب المعاناة وأداة من أدوات نقل التجربة الذاتية، على أن نثنّي بالشخوص المكانية التي مثلت وظيفتين متناقضتين، حيث شكل الوطن موضوعا للحنين والشوق في حين شكلت أرض الاغتراب موضوعا للرفض والتمرد والثورة على كل ما تمثله.

أولا: الإنسان

يمثل الإنسان في شعر ولد احمد دام عنصرا مهما حوله يدور شعر الحنين لديه ومنه تستمد تجربته ملامحها ورواءها. وليس ذلك بمستغرب إذ الإنسان مدار التجارب وموضوعها في آن. وقد شكل الإنسان (الأبناء، الزوجة، الأقارب، العشيرة) جانبا مهما من تجربة ابن احمد دام ومعاناته شوقا وحنينا ولوما وعتابا، كما شكل كذلك مدار ذات التجربة بغضا وتبرما وسخطا (سكان بلاد الغربة).

ولا بد بدءا من الإشارة إلى أن حنين الشاعر تجلى أكثر ما تجلى في تعبيره عن شوقه إلى أبنائه الذين وصفهم في أكثر من موضع بالفراخ أو الأفراخ وهي تسمية لطيفة تحمل من معاني الضعف والهشاشة ما يسوغ لواعج الشوق والحنين والعطف والشفقة، من ذلك قوله في قصيدة له شهيرة:

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

أَأُصْـغِي وَأَفْرَاخِـي قَـدْ اعْـرَضَ دُونَهُـمْ عِـرَاضُ الْفَيَـافِي وَالْجِبَـالُ الْفَـوَارِعُ[67]

فأنت ترى كيف نجح في استعطاف المتلقي ليشاركه معاناته التي زادها استخدام هذه العبارة تجلية وقربا من النفس، فيندمج القارئ في التجربة والمعاناة ويغدو شاهدا على صدقهما ومشاركا في تبكيت المتقاعسين عن أزر الشاعر في محنته تلك. وقد نستغرب اقتصار الشاعر على ذكر أولاده دون زوجه مع أنه يحنّ إليهم جميعا وقد أبعدته عنهم ظروف الحياة، ولكن ذكر الأولاد وبهذا النعت "أفراخ" يكاد يصرح بالحنين إلى أمهم كذلك. أليس من مستلزمات ذلك النعت الرعاية والعناية والتربية، وهي مهام الأم بامتياز. وبذلك يغدو الحنين إلى الأبناء لدى ولد احمد دام، حنينا وشوقا إلى زوجه سواء بسواء.

وينوع ابن احمد دام صور التعبير اللطيفة عن شوقه وحنينه إلى أبنائه مستخدما هذه المرة صفة لا تقل استدرارا لعطف المتلقي ألا وهي "صبْيتي" التي تحيل أيضا على الضعف والهشاشة والحنين والعطف وهو ما تجليه الإضافة والتوق إلى اللقي واجتماع الشمل. ويتكثف هذا المعنى عبر استخدام عبارة التمني "ألا ليت شعري" التي تكشف عن مدى شوقه وحنينه:

أَلاَ لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ أَرَانِي بِصِـبْيَتِي طَلِيقًـا مِـنَ ايْـدِي النَّـأْيِ وَالشَّـمْلُ جَـامِعُ

على أن الحنين إلى الزوجة بدا جليا ومصرحا به في الشطر الأخير من بيت آخر من نفس القصيدة، محملا هذه المرة بمرارة البعد والنأي وشاسع المسافة التي تفصل بينهما حتى خلع على بلاد الغربة التي بها زوجه صفة من صفات الإنسان وهي المطل:

أَمَـرُّ النَّـوَى مَنْـأَى حَبِيـبٍ إِذَا دَنَـا لَوَتْـكَ بِمَحْبُـوبٍ بِـلاَدٌ شَوَاسِـعُ

لم يكن الحنين يبارح ولد احمد دام أكان في الغربة مع زوجه وأولاده أو كان في وطنه مع أهله وخلانه، ولعلها ميزة له خاصة وهو أمر غير مألوف عند غيره من الشعراء الشناقطة. فالمعروف أن الحنين إنما يكون عادة إلى حبيب ووطن نأى عنهما المرء لسبب من الأسباب، فإذا عاد إليهما ذهبت لواعج الحنين بفعل الاجتماع بعد الفرقة والألفة بعد الوحشة. ومن هنا كان

(67) المرتفعة، راجع القاموس المحيط، مرجع سابق، ص.746.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

الحنين لديه ذا طعم خاص فلا يجتمع بأهله هنا إلا ليساوره من تباريح الحنين إلى أهله هناك صنوف وألوان. وقد عبر أصدق تعبير عن حاله تلك هذان البيتان:

هُمَا طَرَفَا مِيزَانِ شَوْقٍ كِلاَهُمَا ... تُطَلِّقُنِي أَهْوَالُهُ وَتُرَاجِعُ

أُتِيحَتْ لِغَرْبِ الْأَرْضِ مِنِّي زِيَارَةٌ ... وَفِي الشَّرْقِ أَرْضٌ فِي الْمَزَارِ تُنَازِعُ

وكما صور ابن احمد دام شوقه وحنينه إلى زوجه وأبنائه في بلاد الاغتراب، فإنه صور كذلك وربما بنفس القوة ما يعتريه من لواعج الحنين إلى أهله وعشيرته بحيث يكاد متقد الشوق يريه أحبته عبر آلاف الأميال:

وَتَبْدُو لِعَيْنِي بَلْدَةٌ وَأَحِبَّةٌ ... عَدَانِي طَوِيلاً عَنْهُمَا الْمَلَوَانِ

ومن الطريف أن ابن احمد دام وظف في حنينه إلى أهله وعشيرته اغترابه اللساني الذي كان شديد الوطأة على نفسه وهو يعيش بين أعاجم لا يبينون، وكلما أمعن في تجلية عجمتهم كلما زادت صور الحنين التي يرسمها وضوحا وقوة. وتصور هذه لأبيات جانبا من ذلك الاغتراب اللغوي والنفسي:

نَشَأْتُ بِأَرْضٍ لاَ أَوَدُّ بِأَهْلِهَا ... أَعَزَّ أُنَاسٍ فِي الْبِلاَدِ وَأَكْرَمَا

وَهَا أَنَا أَسْعَى بَيْنَ نَاسٍ تَخَالُنِي ... لَدَيْهِمْ إِذَا خَاضُوا الْأَحَادِيثَ أَبْكَمَا

وَتَحْسَبُهُمْ وُرْقَ الْقَطَا قَذَفَتْ بِهِ ... عَلَى سَدَمٍ قَفْرِ الْجَبَا لَوْعَةُ الظَّمَا

يَقَعْنَ فَمَا يَنْقَعْنَ إِلاَّ بِلُجَّةٍ ... غَلِيلاً فَمَا تَدْرِي بَكَى أَمْ تَرَنَّمَا؟[68]

فهو لا يتوكأ في حنينه إلى أهله على متعارف حب المرء وميله الطبيعي إلى ذويه، بل يضيف إلى ذلك سببا آخر، أدبيا إن شئت، فيغدو حبهم والحنين إلى الاجتماع بهم حبا وحنينا إلى مجالسهم التي فيها يتناشد رائق الشعر وريّقه، ويميّز جيده من رديّه في بيئة تعلي من قيم الفصاحة والنقاء اللغوي وتطّرح العجمة والغلظة والجفاء، ويحسن أهلها الشعر إنشادا وإنشاء:

(68) الديوان، ص.66.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

وَهَـــلْ أَرَانِيَ فِي قَـــوْمٍ إِذَا سَـــمِعُوا ... مِـــنْ صَـــائِبِ الْقَـــوْلِ مَسْرُودًا وَمُنْتَـــثِرَا

تَمَـــايَلُوا مَيْـــدَ صَرْعَـــى قَرْقَـــفٍ وَرَمَـــوْا ... عَـــنْ قَـــوْسِ أَعْيُـــنِهِمْ مَـــنْ قَالَـــهُ شَـــزَرَا

عُجْبًـــا بِـــذَاكَ وَلَا يُغْنِـــي تَمَـــايُلُهُمْ ... عَـــنْ أَنَّـــةٍ كَاهْتِيَـــاجِ الْعَاشِـــقِ ادَّكَـــرَا

هُنَـــاكَ رَاجَ بَلِيـــغُ الْقَـــوْلِ وَانْتَبَـــذَتْ ... زُيُوفُـــهُ غَـــيْرَ مَعْنِـــيٍّ بِهَـــا هَـــذَرَا[69]

هذا عن الإنسان في شعر الحنين لدى ابن احمد دام، فما ذا عن المكان ودوره في تصوير حنينه ورسم أبعاد معاناته؟

ثانيا: المكان

المكان لغة الموضع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك واقعد مقعدك فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه.[70] ولا نرى ضرورة لاستطراد تعريفات الزبيدي[71] وابن دريد[72] والجرجاني[73] وغيرهم، لأن ذلك يخرجنا عن حيز هذا البحث وحجمه. وللمكان أهمية خاصة في الشعر إذ أن علاقة الشاعر بالمكان ذات أبعاد متعددة يمتزج فيها الواقعي بالخيالي، فهو يعيش فيه على مستوى الوجود الحقيقي ويسبح فيه في عالمه الشعري.[74]

والمكان في شعر الحنين لدى ابن احمد دام مكانان: مغتربه ووطنه. وقد أشرنا آنفا إلى ما عاشه من تمزق بينهما، حبا بساكني الأول لا به وحنينا إلى الثاني وساكنيه. لقد بدا ابن احمد دام في جل نصوص الحنين التي كتبها متبرما بمغتربه مزدريا معالمه البشرية والمادية، تواقا إلى وطنه

---

(69) الديوان، ص.69.

(70) لسان العرب، مرجع سابق، مادة: مكن.

(71) انظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: د. حسين نصار، طبعة الكويت، 1403هـ مادة: مكن.

(72) راجع: جمهرة اللغة، أبو بكر بن دريد، طبعة دار الباز، 1345هـ ص. 171.

(73) علي الجرجاني، التعريفات، الطبعة الأولى بعناية مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ ص.227.

(74) شاعرية المكان، د. جريدي المنصوري الثبيتي، الطبعة 1، دار العلم، المملكة العربية السعودية، 1412هـ.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

ومرابع صباه، في ثنائية لا تني ترسم صور الألم والمرارة التي عاشها موزعا بين وطنين و"مكانين". وإنه ليخيل إلى المرء وهو يقرأ تلك النصوص أنه لم يكن من الممكن إطلاقا تصوير أحد المكانين إلا بخلع الصفات المناقضة على الآخر. واقرأ معي إن شئت قوله:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى مَعْهَدِ النَّوَى ... خَلاَصٌ مِنَ ايْدِي النَّأْيِ والْجَوَلاَنِ

وَهَلْ لِي بِجَنْبَيْ "تَغْرَرَيْتَ"[75] إِلَى "الصَّفَا"[76] ... إِلَى "الأَجْرَعِ الْغَرْبِيِّ" "فَالْجُرُذَانِ"

إِلَى جَنْبَتَيْ "ذِي قَسْطَلٍ"[77] مُتَنَزَّهٌ ... فَإِنِّي إِلَيْهَا دَائِمُ الْهَيَمَانِ

وَتَبْدُو لِعَيْنِي بَلْدَةٌ وَأَحِبَّةٌ ... عَدَانِي طَوِيلاً عَنْهُمَا الْمَلَوَانِ

فأنت ترى إلى أي حد نوّع تصوير حنينه عبر مفردات وعبارات متنوعة: ألا ليت شعري، هل إلى، خلاص، هل لي، متنزّهٌ، دائم الهيمان، تبدو لعيني، بلدة. ولا يقتصر هذا التنوع على المفردات والعبارات، بل يشمل المواضع والأمكنة، فكأنه قصد قصدا إلى تعداد الأماكن واحدا واحدا حتى يجلّي أكثر ارتباطه بوطنه من خلال البرهان على انتمائه إليه وإلى كل ذرّة من ترابه فيضحي حنينه إليه مؤصلا.

أما المقطع الثاني من هذه القصيدة فقد أراد الشاعر أن يمحضه لذم بلاد الغربة والتبرم بها ونعتها بما يدعو إلى النفور منها والحلم بمبارحتها، مضيفا إلى ذلك عنصرا ما فتئ يلح عليه وهو عجمة أهلها فكأنه يتبنى المقولة: "بضدها تتبين الأشياء". ويسلمه بغض تلك البلاد وما عاناه فيها من هوان إلى حكمة يأمل أن تخفف عليه ما كابده وعايشه من منغصات:

فَيَزْأَبَ مَا أَثَّاَتُهُ أَيَّامُ "سَالِمٍ"[78] ... وَأَيَّامُنَا فِي سَاحَةِ "السُّنْغَانِ"[79]

---

(75) "**تَغْرَرَيْتَ**" بفتح التاء وسكون الغين وفتح الراءين وسكون الياء وفتح التاء: اسم موضع باللغة الصنهاجية.

(76) تعريب موضع اسمه بالعامية: لحجورية بإشمام اللام وتسكين الحاء وضم الجيم ومدها وكسر الراء.

(77) تعريب موضع اسمه بالعامية: بو اغبيره، بضم الباء ومدها وتسكين الغين وإمالة الباء وفتح الراء.

(78) منطقة بجمهورية السنغال.

(79) يعني السنغال.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an ابن أحمد دام نموذجا

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

وَأُخْـرَى أَقَمْنَـا فِي قُـرَى "جُلُـفَ"[80] الَّتِـي ... أَقَمْنَـــا بِهَـــا فِي ضَـــيْعَةٍ وَهَـــوَانِ

فَمِـــنْ مَنْظَـــرٍ تَقْـــذَى بِـــهِ وَرَطَانَـــةٍ ... تُصِـــمُّكَ أُخْـــزَى مَنْظَـــرٍ وَلِسَـــانِ

بِـــلَادٌ رَمَتْنَـــا بَيْنَهَـــا لَا مُحَبَّـــبٌ ... إِلَى الْعَـــيْنِ مَرْآهَـــا يَـــدُ الْحَـــدَثَانِ

وَمَـــنْ صَـــحِبَ الْأَيَّـــامَ أَنَّـــأَيْنَ جَـــارَهُ ... وَأَدْنَـــتْ لَـــهُ مَـــنْ لَـــيْسَ بِالْمُتَـــدَانِي

وكما استدعى في المقطع السابق كل العبارات والكلمات التي من شأنها تصوير شوقه وحنينه إلى وطنه وأهله، فقد حرص على رسم صورة قاتمة لمغتربه تجليها العبارات والمفردات التالية: أَثْأَثْتُهُ، ضيعة، هوان، تَقْذَى به، رطانة، تُصِمُّكَ، أخزى، رمتنا، لا مُحَبَّبٌ، من ليس بالمتداني. ونرى ابن احمد دام يلح على الغربة اللسانية أيما إلحاح حتى ليخيل إلى المرء أنها أشد ألوان الغربة وطأة عليه. ولقد كان للحياة الثقافية والأدبية والعلمية في بلاده في ذلك العصر من الازدهار والنشاط ما يفسر ذلك.

ومن اللافت في استدعاء ابن احمد دام للمكان إيرادُه لأسماء أعجمية يعتقد للوهلة الأولى أنها ستفسد عليه ما رمى إليه من تصوير تباريح حنينه واشتياقه إلى وطنه، لكن المفاجأة أن تلك العجمة والوحشة بل والثقل في بعض الكلمات من قبيل: "تَغْرَرَيْتَ" مثلا لا تلبث أن تنقلب ألفة بل وحميمية كأنما صهرها لهيب الحنين وصاغها صياغة جديدة غدت بها ـ وهي شديدة العجمة ـ أفصح في التعبير عن تجربته ومعاناته من الكلمات العربية القحّة ذاتها. وقل الشيء نفسه في أسماء الأماكن في بلاد الغربة، فقد بدت ـ على عجمتها ـ منسجمة مع النص الشعري الفصيح بل ومؤدية فيه دورها في تصوير نفوره من تلك البلاد وتبرمه بشخوصها البشرية والمكانية جميعا.

وتجلّي الأبياتُ التالية ما للمكان من أهمية في تصوير معاناة الشاعر في الغربة، فهو دائم البث دائب النحيب، يذكره كل ركب بوطنه ويهيجه كل مرتحل على الحنين والشوق إلى مرابع صباه وديار أهله وخلانه:

---

(80) منطقة بشرق السنغال.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

أَفِي الْحَـــقِّ أَنِّي كُلَّـــمَا مَـــرَّ قَافِـــلٌ طَغَـــتْ زَفَـــرَاتٌ فِي الْحَشَـــا وَنَشِـــيجُ

وَوَارَى غُـــرُوبُ الـــدَّمْعِ إِنْسَـــانَ مُقْلَتِـــي فَيَـــا لِمَعِـــينٍ سَـــالَ وَهْـــوَ مَشِـــيجُ

كَـــذَاكَ حَسِـــبْتُ الْأُفْـــقَ حَلْقَـــةَ خَـــاتَمٍ غَـــدَاةَ بَـــدَتْ مِـــنْ دِيـــرِ "بَـــيْرَ" بُـــرُوجُ[81]

ويرسم البيت الأخير صورة جميلة ودقيقة لمشاعر صاحبنا وهو يوغل في مجاهل إفريقيا، وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت لما أبصر معالم تلك المدينة التي ترمز إلى كل معاني الغربة: "بَيْرَ" بباء مفتوحة وياء ساكنة وراء مفتوحة. فعجمة الكلمة بحد ذاتها تؤذن بالنأي والفراق والبعد عن الأهل والوطن، وهو ما عكسه هذا النص وسابقوه إذ اجتهد ابن احمد دام في توظيف أدوات تعبيرية مختلفة ليشركنا في تجربته ووفق في ذلك إلى حد بعيد.

المطلب الثاني: مميزات شعر الحنين لديه

في هذا المطلب نعرض لمميزات شعر الحنين لدى ابن احمد دام من خلال توظيفه للمعجم والموسيقى الشعرية لتجلية وتكثيف تجربته الإبداعية.

ولا: معجم الحنين لديه

يمثل المعجم بالنسبة لأي متكلم الرصيد الذي يتألف منه الكلام، والشعر كلام خاص ومتميز، وذلك لأمور أبرزها عناية صاحبه بالمعجم انتقاء وتوظيفا. وهذا ما دفع بعض النقاد إلى اعتبار جوهر فن الشعر في طريقة التعامل مع المعجم وذلك من حيث التلاعب بترتيبه وجعل كلماته تحيل إلى نصوص أكثر منها إلى أشياء مادية[82].

(81) بلدة في جمهورية غينيا بغرب إفريقيا.

(82) مايكل ريفاتير، دلائليات الشعر، ترجمة ودراسة محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997، ص.33. نقلا عن عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد، الشعر الشنقيطي في القرنين 12 و13 الهجريين، مرجع سابق، ص. 189.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

وهذا ما عبر عنه ابـن رشـيق بقولـه: "للشـعراء ألفـاظ معروفـة وأمثلـة مألوفـة لا ينبغـي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها إلا أن يريد الشاعر أن يتظرف باسـتعمال لفـظ أعجمـي، فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الخطرة".[83]

وعلى ضوء ما سبق سنتطرق في البداية إلى المعجم الذي استخدمه ولـد احمـد دام ومـدى إسهامه في نقل وتجسيد تجربته ومعاناته ثم نشـير إلى الموسـيقى الشـعرية التـي آزرتـه في تجليـة تجربته وصقلها. والمقصود بـالمعجم هنـا البنـى[84] اللفظيـة كلمـة كانـت أو جملـة أو تركيبـا مـما يتوصل به إلى التعبير عن الذات والمعاناة، عن الحزن والفرح، عن الواقع والطمـوح، بحيـث تغـدو اللغة ذاتها أداة للتعبير عن تلك الجوانب جميعا وذلك بما تحمله مـن مـدلولات أصـلية أو فرعيـة أضفتها عليها عبقرية الشاعر واللحظة الشعرية ذاتها.

لذلك سينصب اهتمامنا في الأسطر التاليـة عـلى اسـتنطاق مفـردات شـعر الرجـل وجملـه للكشف عما تحمله من أوجه الشوق والحنين إلى وطن هـاجر عنـه قسرا وأهـل نـأى عـنهم جـبرا. وكما ذكرنا سابقا فإن لولد أحمد دام ست عشرة قصيدة في غرض الحنين، وهي تتفاوت طـولا مـن النتفة إلى القطعة إلى القصيدة، ولكنها في مجملها تعكس نغمة الحنين التي تميـز بهـا عـن أضرابـه من الشعراء الشناقطة.

ولعل أطول تلك القصائد على الإطلاق قصيدته العينية التي يبلغ عدد أبياتها ثمانية وثلاثين بيتا. ولهذه القصيدة قصة أوردها صاحب الوسيط[85] وخلاصتها أنه كان ذات مـرة في بـلاد إفريقيـا فاشتاق إلى وطنه وذويه فترك زوجه وأولاده وتوجه إلى بلاد شنقيط. ولما أقام فـترة في وطنـه وبـين أهله وذويه، اشتاق إلى زوجه وأبنائه وأعلم قومه بعزمه على الرجـوع إلى مهـاجره، فحـاولوا ثنيـه عن ذلك متعللين ببعد الشقة ووحشة الطريق بل واقترحوا عليه الزواج والاستقرار. لكـنهم لمـا رأوا

---

(83) العمدة: 128/1.

(84) تأتي البنية بالرفع والكسر في معاجم اللغة بمعنى الصيغة التـي يبنـى عليهـا اللفـظ. انظـر: المكـان في الشـعر الأندلسي، مرجع سابق، ص.124.

(85) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص.294 ـ 296.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

إصراره طلبوا منه إمهالهم فترة حتى يجهزوا له رفيقا وزادا، فلما انقضى الأجل ولم ينجزوا ما وعدوه به انتظر حتى اجتمعوا في المسجد للصلاة، فأقسم ألا يأخذ منهم زادا ولا غيره وأنشدهم القصيدة ثم مضى لحال سبيله.

وتعكس هذه القصيدة التمزق النفسي الذي عاشه الشاعر وذلك في حنينه إلى زوجه وأولاده وقد خلفهم في مجاهل إفريقيا وجزعه من مفارقة وطنه وذويه في بلاد شنقيط.

ولن نتعرض للقصيدة كلها وإنما إلى الأبيات التي نرى أن معجمها الشعري يخدم ما نحن بصدده من الكشف عن تميز الشاعر في حنينه المزدوج. وتبدأ القصيدة بداية قوية تتسق مع حسم الشاعر وحزمه ودقة موقفه:

تَجَلَّدْتُ لِلتَّوْدِيعِ وَالْقَلْبُ جَازِعُ ... وَأَخْفَيْتُ مَا كَادَتْ تُبِينُ الْمَدَامِعُ

تَرَقْرَقَ دَمْعٌ لَوْ أَطَعْتُ غَرُوبَهُ[86] ... ذَرَفْنَ كَأَجْرَى مَا تُفِيضُ الدَّوَافِعُ

فَيَا عَجَبًا أَخْشَى الْفِرَاقَ وَطَالَمَا ... حَرَصْتُ عَلَيْهِ مُكْرَهًا أَنَا طَائِعُ

أَمَرُّ النَّوَى مَنْأَى حَبِيبٍ إِذَا دَنَا ... لَوَتْكَ بِمَحْبُوبٍ بِلَادٌ شَوَاسِعُ

هُمَا طَرَفَا مِيزَانِ شَوْقٍ كِلَاهُمَا ... تُطَلِّقُنِي أَهْوَالُهُ وَتُرَاجِعُ

أَتِيحَتْ لِغَرْبِ الْأَرْضِ مِنِّي زِيَارَةٌ ... وَفِي الشَّرْقِ أَرْضٌ فِي الْمَزَارِ تُنَازِعُ

والوحدات المعجمية التي يتجلى فيها ذلك التمزق موجودة بشكل خاص في هذا المقطع من القصيدة (من البيت الأول إلى البيت السادس). بيد أن هذا المقطع ذاته يمكن تقسيمه إلى جزأين: الجزء الأول ويشمل الأبيات 1 و2 و3 ويمكن عنونته بـ"القرار الصعب" حيث يبرز فيه الشاعر عزمَه على الرحيل إلى إفريقيا وجلَدَه وصبرَه على مفارقة وطنه وأهله ويختمه بتوجيه اللوم إلى نفسه على الجزَع وإذالة الدمع أسىً على الفراق وهي التي ألِفَت البعد والفراق حتى غدا التجوال والاغتراب عادتها وديدنها. وهذا ما تعبر عنه المفردات التالية:

(86) سيلان الدمع من العين بدون انقطاع، راجع لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ص.643.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

تجلدت ـ التوديع ـ جازع ـ أخفيت ـ المدامع ـ ترقرق ـ ذرفن ـ تفيض ـ أخشى ـ الفراق ـ مكرها.

وهي وحدات عبَّرتْ إلى حد بعيد عن قسوة الفراق وألمه وشدة وقعه على النفس وما يتطلبه من التجلد والصبر الجميل، وهو ما نجح فيه الشاعر عبر تذكير نفسه بتجاربه السابقة في البعد عن الأهل والوطن. وتجلى ذلك بوجه خاص في البيت الثالث الذي هو عبارة عن حوار داخلي (مونولوج) بين الشاعر وذاته أراد إشراكنا في فحواه: فقد ذهب به العجب كل مذهب من خوفه وجزعه من فراق أهله ووطنه وهو الذي تعود الفراق وكان عليه حريصا وله طالبا وفيه راغبا.

وقد آذنَ افتتاحُه للنص بفعل "تجلّدت" بكل معاني التحمل والصبر والضيق والجزع والقلق والخوف من "توديع" الأهل والعشيرة، والارتماء في أحضان مجاهل إفريقيا شوقا وحنينا إلى الزوجة والأولاد، وهي المعاني التي تنتشر في مختلف مفاصل القصيدة، مما قذف بالشاعر في أتون دوامة من الحزن والأسى يغذيها "القلب الجازع" المضطرب. لكن نفس الشاعر لأبية لا ترضى له بل ولا هو يرضى لها الاستكانة والضعف، لذلك شدَّت من أزْره أو قل شدَّ هو من أزْرها حتى أمكنه إخفاءُ مشاعره ولَجْمُ دموعه في الغالب، رغم لحظات الضعف والأسى التي تفلتُ أحيانا من عِقَالِ جلَدهِ ورباطة جأشه.

وقد استطاع الشاعر توظيف مختلف تقنيات التعبير لخدمة هدفه في تجلية ما يعْتمل في صدره من مشاعر متناقضة. من ذلك لجوؤه إلى المقابلة إمعانا في وصف معاناته على نحو ما ورد من مقابلة بين "أخْفيتُ" و"تُبِينُ"، و"أخشى" و"حَرَصْتُ" في البيت الأول والثالث.

أما الجزء الثاني من هذا المقطع ويضم الأبيات 4 و5 و6 وعنوانه "الإحساس بالمرارة والتمزق"، فقد محَضَهُ الشاعر للتعبير عن معاناته المزدوجة وتمزُّقِه المريع بين أهلين: زوجه وأولاده في إفريقيا من جهة، ووطنه وأهله في بلاد شنقيط.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an : ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

ويتجلى هذا التمزق وتلك المرارة في مجموعة من المفردات والتعبيرات التي استطاع أن يحمِّلها شعورَه بالعتَب والضّيق من قومه الذين ما فتئوا يماطلونه ويمنُّونه بالرِّفقة والزاد، مجسِّدا ما يعيشه من تشتُّت بين أهلَيْن ووطنَيْن في ثنائية بديعة طرفاها الوطن والغربة. ومن الكلمات التي أسهمت في تجلية هذا التمزق وتلك المرارة:

أمرّ ـ النّوى ـ منأى ـ شوق ـ تطلقني ـ أهواله ـ تراجع ـ غرْب ـ شرْق ـ تُنَازِعُ.

وتكاد صيغة المبالغة "أمرّ" التي افتتح بها الشاعر البيت الرابع تلخص مضمون الأبيات التالية بل مضمون النص كلّه. لذلك تغدو الأبيات 3 و4 و5 مجرد تكثيف لهذه الصيغة وتوضيح لأبعادها، فيغدو الشوق إلى الأهل والأحبة هنا وهناك شوكتيْ ميزان بينهما أهوال وعذابات يصْلَى الشاعر جحيمها كلما رجحت إحدى الكفَّتين. وهو ما يصوره البيت الخامس من المقطع الأول تصويرا فوتوغرافيا يكاد ينبض بالحياة:

هُمَا طَرَفَا مِيزَانِ شَوْقٍ كِلاَهُمَا تُطَلِّقُنِي أَهْوَالُهُ وَتُرَاجِعُ

وانظر معي إلى قدرة ولد احمد دام على التعبير الدقيق عن معاناته التي جلاّها أحسن ما تكون التجلية باستخدامه لهذه الصورة المركبة البديعة: فهو يستشعر حساسية وضعه، إذ هو معَلَّقٌ بين وطنه وأهله وبين زوجه وأولاده في الغربة، وهو مدركٌ لأهمية الإنصاف والعدل في صلة الطرفين، فعبر عن ذلك الحس وتلك الحساسية بكفتي الميزان وضرورة إقامة الوزن بالقسط في كلتا الحالتين. وما أروع الشطر الثاني من هذا البيت: "تطلقني أهواله وتراجع"، في تكثيفه للمعنى المذكور، فلا المشاعر التي تساوره "أمسكته بمعروف" ولا هي "سرّحته بإحسان" فبقي عالقًا أو معلّقا، ممزّقًا أو مشتّتًا.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an نموذجا : ابن أحمد دام المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

وهذه الحساسية المفرطة تجاه معاناته وما يقاسيه لم تدفعه إلى إيثار طرف على آخر وترجيح كفة على أخرى، بل بقي محافظا على الإنصاف والعدل بين طرفي حنينه، كأنما أراد إبراء ذمته من الميل إلى أحدهما أكثر من الآخر، يقول في البيت السادس:

أُتِيحَتْ لِغَرْبِ الْأَرْضِ مِنِّي زِيَارَةٌ وَفِي الشَّرْقِ أَرْضٌ فِي الْمَزَارِ تُنَازِعُ

على أن الشاعر يستفيد أحيانا من المقابلة بين المفردات والتعبيرات لتكثيف تجربته وتحديد ملامحها أكثر فأكثر، ومن ذلك: "منْأى" و"دنا" و"تُطَلِّقُني" و"تُراجِعُ" و"غرب" و"شرق" في الأبيات 4 و5 و6. بل إنه يزيد الصورة إيضاحا وتحديداعبر المقابلة بين شطرين كاملين على نحو ما يصوره البيت السابق.

وأما المقطعُ الثاني فنقترح له عنوانا: "الرحيل" ويشمل الأبيات من 7 إلى14، ويمكن اعتباره جزأين أولهما ينتهي عند البيت التاسع:

أَلاَ فَارْحَلاَ[87] قَبْلَ الصَّبَاحِ مَطِيَّنَا فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَنْ تُجَابَ الْبَلاَقِعُ[88]

إِلَى حَاجَةٍ لَمْ يَثْنِ عَنْهَا عَزِيمَتِي صَدِيقٌ بِأَنْوَاعِ الْمَلاَمَةِ صَادِعُ

غَدَا إِذْ غَدَا فَرْخَاهُ مِنْهُ بِمَنْظَرٍ يُثَبِّطُ لَوْ أَنَّ الشَّجِيَّ يُطَاوِعُ

وفيه بدأ التنفيذ وأزفت ساعة الرحيل التي عبرت عنها بقوة جملة فعل الأمر "ألا فارحلا"، بعد أن يئس الشاعر من أي عون أو مساعدة من قومه الذين لم يألوا جهدا في تثبيطه ومماطلته. وقد آذن استخدامه لخطاب الاثنين بما يعتلج في صدره من العتب على قومه، فلجأ إلى الاستنان بسنة الشعراء في مخاطبة رفقائهم في السفر الحقيقيين أو المتخيلين. أما هو فالصورة لديه ذهنية لا أكثر، وكيف لا ولم يظفر من قومه بمن يؤنس وحشة الطريق؟ بيد أن ألوان الملامة لم تفتَّ في عضده ولم تنل من عزيمته، خاصة وأن لائميه لا يصْلون ما يصْلاه من حنين وشوق مبرِّح فليس من

(87) أرحل الرجل البعير إذا أخذ بعيرا صعبا فجعله راحلة، لسان العرب، مرجع مذكور سابقا، ص.277.

(88) الأرض القفر، لسان العرب، مرجع مذكور آنفا، ص.21.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

شأنهم الإحساس بما يحسه ولا تقدير معاناته. ومن الكلمات التي تجلّي هذه الحالة النفسية: فارحلا ـ لم يبق ـ حاجة ـ لم يثن ـ عزيمتي ـ أنواع الملامة ـ فَرْخَاهُ منه بمنظر ـ يثبّط ـ الشجيَّ.

وفي الجزء الثاني من هذا المقطع انكفأ الشاعر نفسه يقرّعها ويلومها، خشية أن تميل ـ في لحظة ضعف ـ إلى الإصغاء إلى محاولات قومه تثبيطه عما أزمعه من الارتحال إلى أبنائه. ويبدو ذلك جليا في البيت الأول من هذا الجزء الذي يحاور فيه الشاعر نفسه ويحاول إقناعها بعدم الإصغاء إلى ما تسمعه من وعود: أأصغي؟ ـ أفراخي ـ أعرض دونهم ـ عراض الفيافي ـ الجبال الفوارع. ويستوقفنا (في البيت 10) جنوح الشاعر إلى الاستعطاف عبر وصف أبنائه بالفراخ، علَّ القوم يرقُّ لهم قلبٌ أو تدمعُ لهم عينٌ فيسارعوا إلى شدِّ أزره، وذلك في لحظة من لحظات الضعف القليلة في القصيدة.

ويشي هذا الحوار الداخلي بما كان يتنازع الشاعر من عواطف ومشاعر تجاه ما كان القوم يعرضونه عليه وما كانت نفسه الجموح تدعوه إليه. وقد يكون في استعراض تلك العروض والوعود تفصيلا ما يدل على أنه أمعن التفكير فيها بل ربما كان قاب قوسين أو أدنى من القبول بها أو ببعضها، ولكن الحنين والشوق إلى الأهل في المغترَب كان أقوى وأمكن، يقول:

أَأُصْغِي وَأَفْرَاخِي قَدْ اَعْرَضَ دُونَهُمْ ... عِرَاضُ الْفَيَافِي وَالْجِبَالُ الْفَوَارِعُ

دَعَانِي إِلَى نِسْيَانِهِمْ كُلُّ رَاقِمٍ[89] ... عَلَى الْمَاءِ صُمَّتْ عَنْ دُعَاه الْمَسَامِعُ

إِذَا وَعَدُوا بِالْمَالِ ثُمَّ ذَكَرْتُهُمْ ... تَلَاشَتْ إِذَنْ لَوْ يَعْلَمُونَ الْمَطَامِعُ

وَإِنْ خَدَعُوا بِالْغِيدِ غَادَرَ ذِكْرُهُمْ ... لَدَيَّ هَبَاءً مَا وَشَاهُ الْمُخَادِعُ

وَإِنْ قِيلَ فِي أَهْلِ التَّغَرُّبِ أُسْوَةٌ ... فَمَا أَنَا لِلضَّاوِينَ فِي الْعَجْزِ تَابِعُ

(89) رقم: كتب، نفس المرجع، ص.1114.

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

وأما في هذا المقطع:

سَـأُعْمِلُ سَـيْرَ النُّجْـبِ نَصًّـا إِلَـيْهِمُ ... وَأُهْمِـلُ لَغْـوًا رَأْيَ مَـنْ هُـوَ رَاجِـعُ

وَمُعْطِـي عُهُـودٍ أَنْ يُرَافِـقَ أَصْـبَحَتْ ... تَمُـرُّ بِهَـا نُكْـبُ الرِّيَـاحِ الزَّعَـازِعُ

يُضَـاعَفُ مِـنْ عَزْمِـي عَـلَى السَّـيْرِ كُلَّـمَا ... بَـدَتْ مِـنْ ضَـمِيرِ الْمُخْلِفِـينَ الْجَنَـادِعُ

بَـدَا مَـا طَـوَى مَـنْ كَـانَ يَـزْعُمُ أَنَّـهُ ... سَـيَطْوِي إِلَيَّ الْبِيـدَ وَالْحَـقُّ نَاصِـعُ

تَكَاسَـلَ إِخْـوَانِي الْأَقَـارِبُ فِي الرَّخَـا ... لَـدُنْ صَـدَعَتْ شَـمْلِي اللَّيَـالِي الصَّـوَادِعُ

فَـمَا اسْـتَأْجَرُوا لِي صَـاحِبًا مِـنْ سِـوَاهُمُ ... فَـرُبَّ أَجِـيرٍ فِي الْمَضَـائِقِ نَـافِعُ

فيراوح ابن احمد دام بين توطيد عزمه على الرحيل (البيت 15) وتقريع قومه (الأبيات 16، 17، 18، 19، 20)، فلا يستقيم له إقناع نفسه وحملها على اقتحام أهوال السفر ومخاطره إلا بتذكيرها بموقف القوم ووعودهم التي لا يمكن التعويل عليها أو الركون إليها، حيث صورها تصويرا بديعا في البيت 16 وهو تصوير يدرك أهل الصحراء فحواه أكثر من غيرهم (تَمُرُّ بِهَا نُكْبُ الرِّيَاحِ الزَّعَازِعُ). ويظهر جليا استخفافه بتلك الوعود في عبارات من قبيل: أُهْمِلُ ـ لَغْوًا ـ نُكْبُ ـ الرِّيَاحِ ـ الزَّعَازِعُ ـ الْمُخْلِفِينَ ـ الْجَنَادِعُ ـ يَزْعُمُ ـ تَكَاسَلَ ـ فَمَا اسْتَأْجَرُوا. ويعبر البيت 19 عن مدى المرارة التي يحسها الشاعر وهو يتحدث عن "إخوانه" و"تكاسلهم" عن مؤازرته مع قدرتهم على ذلك، فهل هو استعطاف أخير أم تقريع وتبكيت تأتّى من اليأس من الحصول منهم على أي عون أو مساعدة؟

وتمضي القصيدة على هذا النحو من المراوحة بين التأكيد على قويّ عزمه على السفر، ولوم قومه إذ لم يمدوا له يد العون، مبرزا خلال ذلك كله اعتماده على نفسه وقدرته على تقحم الصعاب والمهالك. ولكن التغني بهمته وقوة إرادته وعدم احتفاله بمن خذله تتجلى أكثر في بقية القصيدة حيث لا يذكر موقف قومه وتخاذلهم إلا لتأكيد قدرته على الاعتماد على نفسه وتجشم الصعاب

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an : ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

وحده، بيد أن الشعور بالمرارة يبدو أحيانا وكأنه أفلت من ربقة نغمة القوة والعزم والحزم والإقدام التي طبعت القصيدة برمتها.

فقد استخدم أدوات تعبيرية تحيل إلى العتاب والشعور بالمرارة: أسلموني ـ مُقاطع ـ شكوتُ. فأنت ترى معي كيف صور قدرته وقوة عزمه وإصراره على السفر إلى إفريقيا يقوده في مجاهلها حادي الشوق والحنين غير مكترث لا بمخاطر وأهوال الطريق، ولا بخذلان قومه له في لحظات من لحظات الضعف الإنساني.

لقد حشد الشاعر في بقية القصيدة الكلمات والتعبيرات التي من شأنها أن تبيّن القدرة والإرادة والعزيمة ورباطة الجأش بل والشجاعة والإقدام:

جلادة ـ مجرّب ـ الداهيات ـ القوارع ـ الموامي ـ الهواجر ـ السرى ـ غَنِيُّ النفس ـ أمضى عزيمةً ـ العضب ـ الكميّ ـ المصارع ـ تَغُولُ ـ الروائع ـ اعتساف ـ مقدام ـ مهمهٌ ـ يتيه ـ جَسُورٌ ـ دُهم المخاوف ـ عُرَى الْحَزْمِ ـ صَبُورٌ ـ بَرْحِ الْمَشَقَّاتِ ـ أهوالها ـ الزُّرْقُ الْعيونِ ـ السمادعُ ـ تعاصَى ـ سيف ـ قاطعُ.

وليس بالمفردات والتعابير وحدها توسل ابن احمد دام لتصوير اعتماده على نفسه واستغنائه بذاته بعد أن لم يظفر من قومه بمؤازرة أو مساندة. بل لقد نوع أدواته التعبيرية ـ مفردات وجملا وتراكيب وأبياتا بل ومجموعة أبيات أحيانا ـ ليجلي معاناته النفسية ممثلة في الحنين الممضّ إلى أهله وولده، والاجتماعية مجسدة في تخلي قومه عنه في لحظة ضعف بشري.

وتتجلى شدة حنين الشاعر إلى أولاده وزوجه في أنه لا يفتأ يذكرهم في مواضع مختلفة من بقية القصيدة بحيث يغدو من الصعب تقسيمها منهجيا إلى أجزاء متمايزة. وبالجملة فهذا المقطع يراوح فيه الشاعر بين اللوم في البيت:

أَصِيخُ إِذَا قَالُوا وَأَتْبَعُ مَا أَرَى وَمَا سَيْفُ مُنْقَادِ الْقَرِينَةِ قَاطِعُ

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an : ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

المنهل
ALMANHAL

والعتاب في البيت:

لَـئِنْ أَسْـلَمُونِي لِلنَّـوَى لَـمْ يَكُـنْ مَعِـي أَخٌ لِحُمَيَّـا[90] وِحْشَـةِ الْبَـيْنِ دَافِـعُ

والشكوى في البيت التالي:

شَـكَوْتُ إِلَى الْمُبْـدِي الْمُعِيـدِ بِمِثْـلِ مَـا شَـكَوْتُ بِـهِ إِذْ عَـوَّقَتْنِي الْمَوَانِـعُ

ولا نرى بعد ذلك ضرورة للوقوف عند كل بيت على حدة، إذ المبتغى إبراز جانب من الحنين في شعر ولد احمد دام من خلال البنية المعجمية لهذه القصيدة، وهو ما نظن أننا أشرنا إلى جانب منه غير يسير.

ثانيا: الموسيقى الشعرية

يتميز شعر ولد احمد دام بالقوة والجزالة وقرب المأخذ، كما ينم عن ثقافة واسعة لغوية ودينية. أما شعر الحنين لديه فبالإضافة إلى ما سبق فإنه يتميز بميزات أخرى اقتضتها طبيعة الموضوع ومعاناة الشاعر. ولا نرمي في هذا المطلب إلى استقصائها، بل إن همّنا أن نستخلص من النصوص التي بين أيدينا أهمها إن على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون. فعلى مستوى الشكل يمكن أن نلمح إلى الميزات التالية إلماحا:

نعتقد أن أهم ميزة امتاز بها شعر الحنين لدى ابن احمد دام هي توزع حنينه بين أهلين ووطنين، وقد تعرضنا لذلك في السابق فلا نطيل فيه هنا. أما الميزات الأخرى ذات الصلة ببنية النص نفسه عروضيا وموسيقيا فيمكن أن نذكر منها مثالا لا حصرا:

ـ غلبة استخدام بحر الطويل: استخدام الطويل حصرا في جل نصوص الحنين لدى ولد احمد دام وهو أمر غريب خاصة إذا علمنا أنه في الأغراض الأخرى استخدم كل البحور الخليلية المعروفة وخاصة التام منها. فلماذا الاقتصار على الطويل في هذه النصوص بالذات؟

(90) الحميّا: أول سورة الكأس، انظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، الطبعة الخامسة، ص. 83.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

سمي الطويل طويلا لأنه طال بتمام أجزائه؛ فهو لا يستعمل مجزوءًا ولا مشطورا ولا منهوكا، وقيل: لأن عدد حروفه يبلغ ثمانية وأربعين حرفا في حالة التصريع، أي في حال كون العروض والضرب من الوزن والقافية نفسها، وليس بين البحور الأخرى واحد على هذا النمط.

وقد لاحظ بعض دارسي الأدب[91] الموريتاني احتلال بحر الطويل الدرجة الأولى في الاستخدام لدى الشعراء الشناقطة. بل إن الدكتور إبراهيم أنيس يقول عن شيوع الطويل لدى الشعراء العرب عموما: "ليس بين بحور الشعر ما يضارع الطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن".[92]

ولعل للأمر علاقة بفضاء هذا البحر وامتداده الذي يسع تباريح الحنين وزفراته وأنّاته، ويتسع لنقل المعاناة بكل أبعادها وتفاصيلها، وهي أمور تتيح معالجة كل المواضيع ذات الصلة بحياة الشاعر ومشاعره. فالبحر "الطويل ذو بهاء وقوة"[93]، في ذبذباته وذو إمكانات متسعة تتيح النظم في الموضوعات التي تتطلب طول نفس لأنه سخي النظم يضم ثمانية وأربعين صوتا تفتح للشاعر حرية في التعبير وانعتاقا من القيود.

وبناء على ما تقدم يمكن القول، بشيء من الثقة، إن ولد احمد دام استفاد إلى حد بعيد من مميزات الطويل المذكورة آنفا في نقل تجربته وبسط معاناته عبر تنويع وصفه لها. وربما كان فضاء الطويل المتسع وقوته سببا في اختياره ـ عن وعي أو عن غير وعي ـ لبث الهموم ولواعج الحنين والعتب والتبرم وكذلك الاعتزاز بالنفس والثقة فيها والاعتماد عليها في مواجهة الصعاب والمشقات.

---

(91) مثل الدكتور احمد جمال ولد الحسن في كتابه: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، مساهمة في وصف الأساليب، مرجع سابق. وكذلك الدكتور عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد في كتابه: الشعر الشنقيطي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، دراسة في المرجع والبنية والقراءة، مرجع سابق كذلك.

(92) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952، ص. 59.

(93) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص. 269.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

إن مساحة الحرية والانعتاق النسبي من القيود أمور أتاحت للشاعر متسعا زمانيا ـ مكانيا للتعبير عن أوجه معاناته وألوان حنينه وشوقه، بل ومكنته من نقل ما يعانيه من تمزق نفسي وعاطفي بين أهلين ووطنين: أهله في بلاد شنقيط وزوجه وأولاده في بلاد الغربة. وهكذا استطاع الطويل أن يقتنص هذه الصورة المتحركة الرائعة المعبرة أصدق تعبير وأروعه عن التمزق المذكور:

هُمَا طَرَفَا مِيزَانِ شَوْقٍ كِلاَهُمَا تُطَلِّقُنِي أَهْوَالُهُ وَتُرَاجِعُ

أَتِيحَتْ لِغَرْبِ الأَرْضِ مِنِّي زِيَارَةٍ وَفِي الشَّرْقِ أَرْضٌ فِي الْمَزَارِ تُنَازِعُ

ولا نقول إنه لم يكن بوسع الشاعر أن يعبر عن هذه المعاناة بما فيها من حساسية ودقة وعلى هذا النحو من التصوير الدقيق في غير الطويل، ولكننا نزعم أن الطويل كان أقدر على ذلك من سواه من البحور الخليلية.

ـ غلبة استخدام القوافي المشبعة: هناك أمر آخر يميز شعر الحنين لدى ابن احمد دام ألا وهو استخدام القوافي المشبعة أو المطلقة مثل الجيم والعين والنون والكاف والراء والميم، وهي معدودة ضمن القوافي الذلل[94] كما يسميها المعرّيّ. والأحرف الثلاثة الأولى (العين، النون، الجيم) تفسح المجال واسعا للحنين وتجلياته من أنين وأسى وحرقة وتوجع وهي أمور طبعت شعر الحنين لدى الرجل. يضاف إلى ذلك تمسك الشعراء الشناقطة بالسنة الشعرية المطردة في الشعر العربي باستخدام القوافي المشبعة بحيث لم تتجاوز نسبة استخدام القوافي المقيدة في هذا الشعر العشرة في المئة كما يقول د. إبراهيم أنيس.[95]

---

(94) اللزوميات لأبي العلاء المعرّيّ، تحقيق تحقيق أمين الخانجي، القاهرة، 1342هـ، ص.24. ويقسّم المعرّيّ قوافي الشعر القديم إلى ثلاثة أصناف:

1. قوافي ذللا، 2. قوافي نفر، 3. قوافي حوش. وقد قسّم د. عبد الله الطيّب الأحرف على هذا الأساس، فالقوافي الذلل تضم: الهمزة والباء والتاء والجيم والحاء والدال والراء وواسين والعين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والياء. أما القوافي النفر فضمت: الزاي والصاد والضاد والطاء والهاء والواو. هذا في حين شملت القوافي الحوش: الثاء والخاء والذال والشين والظاء والغين. انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب، جزء1، ص.47.

(95) موسيقى الشعر، مرجع سابق، ص.260.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

وتتجلى غلبة الطويل بموسيقاه الهادئة ذات النفس المتسع في هذه النصوص الثلاثة:

تَجَلَّـــدْتُ لِلتَّوْدِيـــعِ وَالْقَلْـــبُ جَـــازِعُ وَأَخْفَيْـــتُ مَـــا كَـــادَتْ تُبِـــينُ الْمَـــدَامِعُ

ومنها قطعة مطلعها[96]:

أَلاَ لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ إِلَى مَعْهَـدِ النَّـوى خَـــلاَصٌ مِـــنَ ايْـــدِي النَّـــأْيِ وَالْجَـــوَلاَنِ

وكذلك مطلع قصيدته[97]:

أَفِي الْحَـــقِّ أَنِّي كُلَّـــمَا مَـــرَّ قَافِـــلٌ طَغَـــتْ زَفَـــرَاتٌ فِي الْحَشَـــا وَنَشِـــيجُ

ونكتفي بهذه النماذج الثلاثة لأن جل قصائد الحنين هـي في هـذا البحـر، وإنمـا أحببنـا أن نمثل لذلك ليقاس على ما ذكر ما لم يذكر.

تلك بعض مميزات شعر الحنين لدى ابن احمد دام كما بدت لنا، وحاولنا تفسيرها وتبيـان الإمكانيات التي وظفها الشاعر في وصف جوانب تجربته ونقل جوانب مـن معاناتـه وتقـديمها إلى القارئ في ثوب شعري شفاف برزت من خلاله عناصر الحنين لديه ممثلة في الإنسان والمكان بشكل خاص.

الخاتمة

ها قد وصلنا إلى ختام هذا البحث الذي انطلقنا فيه من فرضية مؤداها أن في شعر الحنين لدى سيدي عبد الـلـه ولد احمد دام مـن الجـدة والطرافـة مـا يجعلـه نموذجـا للحنـين في الشـعر الشنقيطي. ويبدو لنا بعد عشرة ديوانه وخاصة غرض الحنين منه أن افتراضـنا كـان عـلى شيء مـن الوجاهة في عمومه، ذلك أن النصوص التي درسناها نهضت دليلا على تميز صاحبها لـيس في غـرض الحنين خاصة بل في جل الأغراض التي طرقها.

(96) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع مذكور سابقا، ص.291.

(97) نفسه، ص. 290.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

وبما أن اهتمامنا ينصب على الحنين في شعر الرجل، فقد بدا لنا أن للرجل ملامح إبداعية برزت فيها شخصيته الشعرية الأصيلة في هذا الجانب من شعره فكانت له نغمة مميزة. وقد عرضنا لتلك الملامح تفصيلا في ثنايا البحث، ونعرض لها تلخيصا في الأسطر التالية من خلال استعراض أهم النتائج التي توصلنا إليها:

ـ أن موضوع الحنين في الشعر الشنقيطي في مجمله هو الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو أمر مفهوم بل ومتوقع من قوم عاطفتهم الدينية وقادة وهيمانهم بالحرمين الشريفين معروف بل ومشهور. فلا يستغرب والحال هذه أن يصدحوا بشوقهم وحنينهم إلى تلك الديار عبر ما ينشئونه من قصائد فصيحة وشعبية.

ـ أن الحنين لم يكن غرضا متناولا لدى كل الشعراء الشناقطة بل لدى قلة منهم، إذ هو تجربة ذاتية قبل كل شيء ولهذا كان مرادفا للغربة الجسمية والمعنوية كلتيهما. وكونه تجربة ذاتية تجعله مرتبطا بظروف الحياة الخاصة بالشاعر، وليس كل الشعراء يعيشون ظروف الغربة التي عادة ما تكون مدعاة الشوق والحنين.

ـ أن ولد احمد دام تميز عن سائر الشعراء الشناقطة ـ وأكاد أقول سائر الشعراء العرب ـ في طبيعة الحنين لديه. فقد شاء الله أن تطوح به النوى إلى مجاهل إفريقيا حيث لا أنيس ولا صديق، وحيث تضرب العجمة بأطنابها، وهو الشاعر المرهف المولع بالعربية شعرا ونثرا، وقد تربى بين قوم يكاد الشعر أن يكون حكرا عليهم إنتاجا واستهلاكا فكيف يطيب له المقام في تلك البلاد وبين ظهراني أولئك الأعاجم؟

لذلك كان الحنين لديه ـ علاوة على طابعه الإنساني ـ ذا طابع ثقافي لا تخطئه العين. فلا ذكر لبلاد الغربة إلا ويلازمه التبرم بعجمة أهلها واستدعاء فصاحة الأهل ونصاعة بيانهم. وهذه أولى ميزات الحنين لديه والتي تميزه عن أضرابه من الشعراء الشناقطة. ولئن كان هذا "الحنين الثقافي" أو "الغربة الثقافية" يذكر في بعض وجوهه بقصيدة شاعر العربية أبي الطيب المتنبي في "شعب بوان" وخاصة قوله:

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

مَلَاعِـــبُ جَنَّـــةٍ لَـــوْ سَـــارَ فِيهَـــا سُـــــلَيْمَانٌ لَسَـــــارَ بِـــــتُرْجُمَانِ

فإن البون شاسع بين الشاعرين في هذا المضمار. ذلك أن أبا الطيب لم يذق طعم الغربة ولا طعم العجمة كما ذاقهما ابن أحمد دام فكان ما وصف به "شعب بوان" أقرب إلى التمرين الشعري والترف الأدبي منه إلى الحنين الذي هو تجربة ذاتية إنسانية لحمتها الغربة وسداها المعاناة.

ـ لعل من أهم الميزات التي تميز بها الحنين لدى ابن أحمد دام هي هذا الازدواج في الحنين ذاته: ففي بلاد الغربة التي تجمعه بزوجه وأولاده كانت لواعج الشوق والحنين إلى وطنه وأهله لا تفتأ تساوره فتقض مضجعه فيمتاح من وجدانه ألوان التبرم والضيق ببلاد الاغتراب، ولكنه ما أن يحل بربوع وطنه وديار أهله حتى تعاوده لواعج الشوق والحنين إياها ولكن هذه المرة إلى زوجه وأولاده وليس إلى البلاد التي بها يقيمون ولا أهلها الذين بين ظهرانيهم يثوون. لقد كان حنينه ذا اتجاهين لا يخف في أحدهما بفعل اللقاء والأنس إلا ليشتد في الآخر بفعل البعد والنأي. وهذا التوزع بل والتمزق خاصية لابن احمد دام لا نرى أنه مسبوق إليها في الشعر الشنقيطي على الأقل.

تلك بإيجاز أهم الملاحظات التي قادنا إليها البحث في شعر الحنين لدى ابن أحمد دام، وهي ملاحظات واستنتاجات نعتقد أنها بحاجة إلى تعميق أكثر لتجلية الجوانب الإبداعية التي عكسها حنينه المزدوج. وتلك مهمة حري بباحثين أقدر ودارسين أمهر الانتداب لها للوفاء ببعض حقوق "أسلافنا الأدبيين" علينا، وهل هناك من وشيجة أقوى؟

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an : ابن أحمد دام نموذجا
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

المنهل
ALMANHAL

المصادر والمراجع

[1] الأثر القرآني في الشعر العربي: الشعر الموريتاني نموذجا، التقي ولد الشيخ، اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، الطبعة الأولى، نواكشوط 2010م.

[2] بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، تونس 1986.

[3] التعريفات، علي الجرجاني، الطبعة الأولى بعناية مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1403هـ

[4] تهذيب اللغة، (أبو منصور) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2001م.

[5] الثقافة الشنقيطية، محمد الأمين ولد الناتي، دار نجيبويه، الطبعة الأولى، القاهرة 2012.

[6] حياة موريتانيا، المختار ولد حامدن، الطبعة الأولى، الدار العربية للكتاب، بيروت 1990.

[7] ديوان سيدي عبد الله ولد احمد دام، محمد رضوان الله ولد محمد الأمين، رسالة تخرج من المدرسة العليا للتعليم، مرقون، نواكشوط 1984.

[8] شاعرية المكان، جريدي المنصوري الثبيتي، دار العلم، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية1412هـ

[9] الشعر السياسي الموريتاني: من المقاومة إلى المعارضة، الشيخ احمد المنى، مرقون، داكار 2010.

[10] الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري: مساهمة في وصف الأساليب، أحمد جمال ولد الحسن، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، طرابلس، ليبيا، 1995م.

[11] الشعر الشنقيطي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين: دراسة في المرجع والبنية والقراءة، عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد، مطبعة المنار، الطبعة الأولى، نواكشوط، موريتانيا، 2012م.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

المنهل
ALMANHAL

[12] الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، عبد الله ولد بن احميدة، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، طرابلس الغرب 2009.

[13] شعر المقاومة الموريتانية ضد الاستعمار الفرنسي من *1854 ـ 1960*م، يحيى المتعلق بالله الهاشمي، دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة 2013م.

[14] الشعر والشعراء في موريتانيا، محمد المختار ولد اباه، دار الأمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، الرباط، 2003م.

[*15*] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، بيروت 1407 هـ - 1987 م.

[16] القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة 1، بيروت 1406هـ

[17] لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة عني بها كل من: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1999م.

[18] اللزوميات، أبو العلاء المعرّيّ، تحقيق أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، القاهرة 1976.

[19] المعارضة في الشعر الموريتاني: مدخل لدراسة الاحتذاء عند شعراء القرن الثالث عشر الهجري، عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد، المطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني، الطبعة الأولى، نواكشوط 1995م.

[20] معجم ديوان الأدب، تحقيق د. أحمد مختار عمر ومراجعة د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1424هـ ـ 2003م.

[21] معجم اللغة العربية المعاصرة، عبد الحميد أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1429هـ ـ 2008م.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

[22] معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، سيدي محمد بن محمد عبد الله، منشورات سعيدان، الطبعة الأولى، تونس 1996.

[23] المكان في الشعر الأندلسي: عصر ملوك الطوائف، أمل محسن العميري، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى، بيروت 2012م.

[24] نقد الشعر الفصيح عند الشناقطة (1700 ـ 1960م)، الشيخ ولد سيدي عبد الله، اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، الطبعة الأولى، نواكشوط 2013م.

[25] الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1911م.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

Nostalgia in Shanqeeti poetry, Ibn Ahmad Dam as an exemple

Alsheikh Ahmad Almona

Assistant Professor, Department of Arabic Language for non-native speakers

Faculty of Arabic Language and Social Studies. Al Qassim University

Abstract.

The phenomenon of nostalgia in Al Shenqeeti poetry did not receive the amount of study in deserves even though the inception, schools and purposes of this poetry started to occupy the space of the work of researchers especially in the graduation theses of Mauritanian and Arab Universities.

Thus, it was appropriate to exposure the nostalgia in Al Shenqeeti poetry through a prominent poet , namely Sidi Abdullah ibn Ahmed Dam. The research was initiated with the entrance that explains the components of the title and the motivation behind this choice. Then an overview is shown of the problem of references that is usually facing a researcherin Al Shenqeeti poetry particularly in some of the phenomena that have not been studied, particularly the purpose of nostalgia.

We had then provided a glimpse of nostalgia linguistic and terminological, as defined by the reference books of language literature. In addition to that the nostalgia in Aabic poetry in the early days is briefly discussed. Regarding talking

الحنين في الشعر الشنقيطي = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an نموذجا : ابن أحمد دام

المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620

the nostalgic in the poetry of Ibn Ahmed Dam, it was initiated by giving an outline of the men's life and features of the environment where he was raised, followed by enlightening the general purpose of his poetry before dealing with nostalgia poetry with deeper study and analysis.

We focused on the nostalgia study on the poetic lexicon and connotations, alluding to the precision of the poet in the choice of words and expressions that fit his experience honestly and transparently. We have stopped as well on the elements of nostalgia as reflected in the texts mentioned the human and spatial characters were studied besides their role in enriching the experience. The research was concluded with the most important results that have been reached.

الحنين في الشعر الشنقيطي : ابن أحمد دام نموذجا = Nostalgia in Shanqeeti Poetry : Ibn Ahmad Dam as an
المنى ، أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Qassim University. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/93620